مجلة شهرية

Issue No: 85 عدد:
September 2014 أيلول

نـــور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ
يسوع المسيح الغالب

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رفع الصليب الكريم المحيي

هكذا أحبّ اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يَهلكَ كلّ مَن يؤمن به بَل تكون له الحياة الأبدية .

ايها المخلص كل عضو من اعضاء جسدك المقدس قد صابر اهانة من اجلنا. فالهامة بالشوك والوجه بالبصاق والخدَّان باللطمات والفم بمذاقة الخلّ ممزوجاً بمرارة والاذان بالافتراء المفعم من الالحاد والظهر بالسياط واليد بالقصبة وامتداد جميع الجسم بالصليب والاطراف بالمسامير والجنب بالحربة. فيا مَن تألم لاجلنا واعتقنا من الآلام وتنازل الينا بمودته للبشر ورفعنا ايها القدير على كل شيء ارحمنا.

محتويات العدد

تعبٌ باطل	2
كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث	3
قطع رأس النبي يوحنا المعمدان للقديس يوحنا الذهبي الفم	4
لا تخف أيها القطيع الصغير	4
كيف سلك المسيحيون في القرون الأولى	6
العناية الإلهيّة للقديس يوحنا الذهبي الفم	8
في عود الصليب الكريم المحيي للقديس أفرام السرياني	10
الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور	11
الحقيقة الصعبة مؤامرة كبرى لإزالة الوجود المسيحي	12
الصلاة في المزامير للقديس يوحنا الذهبي الفم	15
من هي الكنيسة ؟	16
العظات الثمانية عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي	17
التوبة للقديس يوحنا الذهبي الفم	18
أطاع حتى الموت موت الصليب	19
السلام - عطية المسيح الأولى للقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة	20
ولكن رحلناها نفوساً كريمة	21
قصة من الواقع ثمن المعجزة	22
العهد القديم (٦٩)	23
الغلاف الأخير: القديسة مريم والدة الإله في المجمع المسكوني الثالث	

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

تعبٌ باطل

إشتغل شابٌّ مدة أربعين سنة عند أحد الأغنياء وأجهَدَ نفسه في خدمته ليلاً ونهاراً. صيفاً وشتاءً بغير انقطاع ولا ملل. لا يترك لنفسه فرصة للـراحة والتمـتّع بأهل بيته وأولاده.

وكان إذا دعاه واعظٌ أو خادم للذهاب إلى الكنيسة، اعتذر له بكثرة مشاغله، وإذا ذكر له الخادم عن وجوب إعداد النفس لمواجهة ـ **الموت** ـ أجابه الشاب: (هل لو جاءني الموت يجدني فاضي).

واستمرّ على هذه الحال مدّة أربعين سنة. حتى مرض مرضاً شديداً. وقبلَ أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، أتى إليه صاحب العمل لزيارته وأظهر إستعداده لإجابة كل طلباته:

فقال له المريض: أريد طلباً واحداً. أن تخلصني من الموت.

ـ يا إبني هذا أمر لا أقدر عليه.

ـ إذن أَجِّل يوم موتي ولو أسبوعاً لكي أودّع فيه أولادي. الذين لم أتمتع بهم طوال حياتي لانشغالي في العمل عندك.

ـ ليس في استطاعتي أن أؤخّر ميعاد موتك ولا ساعة واحدة.

وهنا قال الرجل المريض:

(إذن كان تعبي باطلاً، وقد خسرتُ كلّ شيء).

وهكذا مات المسكين بعد أن كرّس كلّ حياته للأتعاب الباطلة، ولم يستفد منها شيئاً.

أحد القديسين يمثل المنشغل بالعالم بالغرقان فيقول: (ما أشغل الغرقان عن صيد السمك، فكم وكم لما يكون مكبّلاً بالصخور).

إننا دائماً ننشغل في العالم ونثقل أنفسنا فنعاق في طريقنا إلى الملكوت. إنَّ أحَبَّ شيئاً إلى الإنسان هو الحياة. وأتعب شيئاً على الإنسان هو الحياة، وغريبٌ جداً أن يحب الإنسان ما يتعبه. الحياة لغزٌ عسير الفهم، كلما حاول الإنسان أن يحلّ رموزه إزداد تعقيداً وغموضاً. فالحياة هي السرّ الإلهي الذي عجز البشر عن كشفه.

هل يمكن للإنسان وهو على الأرض أن يستريح راحة كاملة ؟ هذا هو المستحيل بعينه والمناقض لناموس اللّه والطبيعة.

إذاً ما هو الحلّ ؟ أو كيف يمكن أن تُحَل مشكلة التعب الإنساني ؟

القديس باسيليوس الكبير

هذا لا يتأتى إلا بالموت. فهو **الراحة الحقيقيّة**. والحلّ النهائي لكل مشكلات الإنسان في هذه الحياة الدنيا. حتى أنّ الربّ طَوَّب الأموات ذاكراً عنهم أنهم «يستريحوا من أتعابهم» (رؤ١٤:١٣).

بل لقد سمعنا داود النبي من وراء الزمن يناجي نفسه قائلاً: «إرجعي يا نفسي إلى موضع راحتك» (مز ١١٤:٧).

يقول **القديس باسيليوس الكبير**: ﴿ أما الآن في أرض الشقاء فلا توجد سعادة كاملة على الأرض. لأنها سرعان ما تشتبك مع الأحزان، الزواج مع الترمل، الولادة مع الموت، الصحة مع المرض ﴾.

ما اتفق الناس قط على حقيقة، قدر ما اتفقوا في (قضية الموت). فالموت قادر أن يثبت وجوده بأنواع وطرق شتى، فإن اختلفت المآرب والمشارب، وإن تباعدت الأمصار والمصائر فالكلّ أمام الموت صاغر متصاغر.

إن نفساً واحدة لم تجرؤ على أن تختلس طريقها صوب الحياة بعيداً عن قنطرة الولادة. فللدخول في الحياة بوابة واحدة. أما للخروج من الحياة فبوابات كثيرة. وكل منها يؤدّي إلى اختتام أيام الإنسان بكلمة (موت) مهما تنوعت الوسائل .. «كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس بملآن» (جا ١:٧).

إنّ الحياة التي لا تضع الأبديّة في صميم إهتماماتها لابدّ أنها تتعثّر في أحجار الزمن الخشن .

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد رفع الصليب الكريم المحيي في العالم كلّه

غبطة البطريرك ك. ك. ثيوفيلوس الثالث

«إنّ الصليب اليوم يُرفع فيُعتَق العالم من الضلالة ، اليوم تتجدّد قيامة المسيح فتبتهج أقطار الأرض متهلّلة، وتسبحك بصنوج داودية قائلة: لقد صنعت يا اللّه خلاصاً في وسط الأرض. هما الصليب والقيامة اللذان خَلَّصتنا بهما أيها الصالح المحب البشر» (ذكصا كانين – السحرية).

أيها الأخوة الأحباء. أيها المؤمنون ، والزوّار الحسنيّو العبادة .

إن ذبيحة الصليب لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح على **عود الصليب**، تتمتّع بصفة مركزيّة في تتميم سرّ الفداء للبشريّة جمعاء ، لأنه من خلال الصليب إنبلجت وظهرت حريّة الإنسان ، لتفضح ضلالة الشيطان وغوايته ، فمن خلال الصليب تتجدّد قيامة المسيح ، التي من خلالهما أي من الصليب والقيامة تمّ السرّ العظيم الإلهي لخلاص العالم.

إنّ كنيستنا المقدسة تبشّر وتكرز **بعيد رفع الصليب الكريم المحيي في العالم أجمع** ، التي تحتفل بتذكاره في هذا اليوم الكريم المبجّل.

فالكنيسة الأورشليميّة هي الشاهد الأمين والوفيّ والصادق لمكان حدث الصَلب صلب ربنا يسوع المسيح على جبل الجلجثة، وأيضاً للمكان الذي وَجَدت به **القديسة هيلانة** عود الصليب الكريم المحيي ، حيث تمّ رفعه بوقار وإجلال مقروناً بالإيمان العميق على يد **أسقف أورشليم البطريرك مكاريوس**. الأمر الذي يسربل الكنيسة بوشاح من الغبطة والسرور لتبتهج مع الرسول بولس الإلهيّ وتفتخر قائلة:

«وأما من جهتي ، فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع المسيح ، الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم» (غلاطية ٦ : ١٤).

أما الإفتخار بصليب ربنا يسوع المسيح ، فمصدره قيامة المسيح التي منها إستمدينا ، الحريّة الحقيقيّة ، أو بالأصح الحريّة التي أُنْعِمَ بها علينا من المسيح المحب البشر ليحرّرنا من سلطان العبوديّة، كما يذكر الرسول بولس: «فاثبتوا إذاً في الحريّة التي قد حرّرنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبوديّة» (غلاطية ٥:٢).

إنّ المؤمنين الذين يسجدون لعود الصليب الكريم المحيي بقلب طاهر وإيمان صادق ورجاء وطيد يحقّقوا وبضمان أكيد الحرّيّة المتدفقة من قوّة سرّ الصليب الظافر، كما يعلّم الرسول بولس:« فإنّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالةٌ ، وأما عندنا نحن المخلّصين فهي قوّة اللّه» (غلاطية ١:١٨).

أما الذهبي الفم فيهتف قائلاً :

بالصليب تتسابق الطبيعة البشرية لتنضمّ إلى مَحْفل الملائكة. بالصليب صارت البتوليّة مستوطنة على الأرض. فحيث أتى المسيح من عذراء فقد فتح طريق هذه الفضيلة أمام طبيعة البشر. بالصليب أنارنا نحن الجلوس في الظلمة. بالصليب حرّرنا من الأسر، وبعد أن كنّا بعيدين صرنا منه قريبين. هكذا بالصليب خَلُصنا، وصار لنا هذا الفداء بالفعل. هكذا بالصليب بعد أن كُنا غرباء صرنا مواطنين سمائيين. هكذا بالصليب بعد أن كُنا نُحَارَب صار لنا السلام والأمن. وبالصليب لم نعد نخاف سهام الشيطان، فقد وجدنا نبع الحياة. بواسطة الصليب لا نحتاج فيما بعد الزينة الخارجية لأننا نتمتع بالعريس. وبه لم نعد نخاف الذئب فقد عرفنا الراعي الصالح "أنا هو الراعي الصالح" (يو ١٠:١١).وبه لن نَرْهَـب الطاغية إذ صرنا في جانب الملك

من هذا المنطلق أصبحنا نحن أيضاً شركاء للقوة الإلهيّة للصليب الكريم المحيي، بعد تتميمنا لسرّ الشركة الإلهيّة الإفخارستيا ، التي أحيينا مراسيمها المبجّلة في كنيسة القيامة الموقرة. لذلك فإننا نحن أبناء الكنيسة مدعوين لمعاينة هذا الحدث الجلل من خلال فم المرنم القائل:

«هلموا يا شعوب لدى معاينتنا العجب الباهر نسجد لقوّة الصليب. فإنّ العود في الفردوس أنتج الموت. وأمّا عود الصليب فبتسمير الربّ البريء من الخطيئة عليه قد أزهر لنا بالحياة. والآن فإذ كنّا نحن الأمم كلُّنا نجني منهُ عَدم البَلى نصرخ قائلين يا مَن بالصليب نقض الموت واعتقنا المجد لك. آمـين»

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

قطع رأس القديس يوحنا المعمدان

الإنجيل : حسب (متى ١٤:١-١٢)
المقاطع الموازية : إنجيل العيد
(مرقس ٦:١٤-٢٩) (لوقا ٩:٧-٩)

للقديس يوحنا الذهبي الفم

● «في ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الرّبع خبر يسوع» (متى ١٤:١).

لأنّ هيرودس أباه الذي قتَلَ الأطفال في بيت لحم كان قد مات. لا يلاحظ الإنجيليّ الوقت إلاّ ليُظهر تعظّم الطاغي وعدم اكتراثه بما يجري من أحداث يسوع. أُخبرَ هيرودس عن كلّ ما يختصّ بيسوع بعد مضيّ وقت طويل. هذا يَعود إلى أنّ الحاكم المشغول بالأمور الماديّة لا يكترثُ كثيراً بهذه الأمور. لكن أنتَ انظر كم هي أهميّة الفضيلة. لأنّه ما إن ماتَ رجل الفضيلة حتى أخذ الطّاغي يخاف ويفكّر ويفلسف الأمور حول القيامة.

● «فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ولذلك تعمل به القوّات» (متى ١٤:٢).

أرأيتَ مدى اتّساع خوفه؟ لم يتجرأ أن يعترف أمام أهل العالم، بل قالها فقط أمام أهل بيته. تبدو فكرته غريبةً. قام الكثيرون من الأموات ولم يفعل أحدهم شيئاً مشابهاً. أنا أعتقد من جهتي أنّ الكلمات هذه تتضمّن **إجلالاً وخوفاً** في آنٍ معاً. لأن النّاس المتناقضين على شبهه يعانون في كثيرٍ من الأحيان من أهواء مماثلة. يذكر لوقا أنّ الشعب كان يقول: «هذا هو إيليا أو أرميا أو هو نبيّ من القدماء قام» (لوقا٩:٨).

كان يقول هيرودس شيئاً أحكم. في البدء عندما كان يسمع أنّ يسوع هو يوحنا (كما يدّعي كثيرون)، كان يعترض ويقول إني قد قتلتُ يوحنا. هذا ما يؤكّده لوقا: «يوحنا أنا قطعتُ رأسه فمن هو هذا الذي أسمع عنه مثل هذا؟» (لوقا ٩:٩).

لكن عندما توقّفت السّيرة هذه عند الناس أخذ يقول مع غيره «هذا هو يوحنا المعمدان» ﴿كان هيرودس يعتقد أنّ المعمدان المقطوع رأسه قد قام في شخص يسوع﴾ .

لماذا لم يَقُل ذلك سابقاً؟ هذا لأنّ الإنجيليين يهدفون دائماً عرض تاريخ المسيح ولم يهتمّوا بشيء آخر إلاّ إذا كان هذا الشيء يساهم في خبر يسوع. بالتالي هنا أيضاً لم يورد تاريخ يوحنا لو لم يتعلّق بيسوع. قال إنّ يوحنا قام من بين الأموات. يذكر مرقس أنّ هيرودس كان يهاب يوحنا بالرّغم من توبيخه له (مر٦:٢٠). **إلى هذا الحدّ عظمة الفضيلة.**

● «فإنّ هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه في السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبّس أخيه لأنّ يوحنا كان يقول له لا يحلّ أن تكون لك. ولمّا أراد أن يقتله خاف من الشعب لأنه كان عندهم مثل نبي» (متى١٤:٣-٥).

لماذا لا يقول شيئاً لهيروديا بل يتوجّه إلى الرجل؟ لأنّ هذا الأخير كان مناسباً أكثر. لاحظوا بأيّ انتباه يقدّم اللّوم. يعرض الأمر كواقعة قانونيّة بدون أن يعرضه كاتّهام مباشر. ﴿لأن هذا الزواج محرّم في الشريعة راجع سفر اللاويين (١٨:١٦ ٢٠:٢١...)﴾.

● «ثمّ لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرّت هيرودس» (متى١٤:٦).

يا لها من حفلة شيطانيّة! يا له من مشهد خلاعيّ! المجمع الحاضر مخالف للشّريعة كما أن جائزته مخالفة هي أيضاً للشّريعة . لأنّه نتج عنه **أَرْذَلُ قَتْل** يمكن أن يتصوّره إنسان. والذي كان يستحق الإكليل والإشادة بفضيلته يُذبَح ويَرى الجميع ذبحه. ها هي غنيمة الشّياطين توضع علناً على المائدة! فشاهدوا إذاً طريقة الحيلة الشيطانيّة الهائلة.

● «من ثمّ وعد بقَسَم أنه مهما طلبت يعطيها. فهي إذ كانت قد تلقّنت من أمّها قالت أعطِني ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان» (متى١٤:٧-٨).

الجريمة مزدوجة: أولاً لأنّها رقصت، وثانياً لأنّها أعجبت هيرودس إلى حدّ أنّها ربحت القَتلَ أجراً لها. أرأيت فظاعة الأمر! كم أن الإنسان بلا إحساس وبلا معنى. هو يحافظ على قَسَمه ويعطي الحقّ لها لطلب ما تريد.

ومن جهة أخرى رأى أنه فعل شرّاً (فحزن). مع أنه سجنه منذ اللحظة الأولى. إذاً لماذا حزن؟ **هذه هي الفضيلة يُعجَب بها ويمدحها حتى الأشرار.**

لكن يا لها من امرأة شنيعة! كان عليها أن تُعجَب بفضيلته وأن تسجد له لأن هيرودس كان يقدّره. لكنها ذهبت في جريمتها إلى الأخير (أي لنهاية المطاف) ونصبت المكيدة وطلبت أجراً شيطانياً.

● «فاغتمّ الملك. ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يُعطَى» (متى١٤:٩).

خاف هيرودس من أجل الأقسام. لماذا لم يَخَف من أجل القتل المخالف للشّريعة وذلك أمام شهداء كثيرين؟ لنشرح قليلاً المخالفة:

كان النّاموس القديم يسمح للأخ أن يتزوّج من امرأة أخيه عندما يموت هذا الأخير بدون أولاد، وذلك لكي يلد ولداً لبيتهما (راجع تث ٢٥:٥–١٠). لكن عندما يكون للمائت ولدٌ لا يحقّ للأخ أن يتزوّج من امرأة أخيه الميت. **من هنا توبيخ يوحنا المعمدان لهيرودس**. جاء هذا التوبيخ بطريقة لطيفة بوضوح ووداعة في آنٍ معاً.

لكن أنتَ من جهتك لاحظ الصورة الشيطانيّة كلّها. هذا عائد **للسّكر والخلاعة التي منها لا يخرج شيء صالح**. والمشاهدون آتون للتلذّذ ، والفتاة الراقصة تأتي بدون خجل من خطيئة أمّها ، وهكذا تتخطّى الزّانيات كلّهن بتصرّفها بالرغم من عذريّتها. كلّ شيء كان مخالفاً. كان على هيرودس في عيد ميلاده، أن يشكر النعمة الإلهيّة، التي أتت به إلى الحياة ، لكنه توغّل في الأعمال المخالفة للشّريعة. كان عليه أن يُخرج يوحنا من السّجن ولكنّه على العكس يزيد على سجنه **القتل**.

فلتنتبه الفتيات الآتيات إلى حفلات الرّقص إلى أي حدّ يورّطن الطّبيعة البشريّة. ولينتبه الرّجال المشتركون بموائد السّكر ويخافوا من مكائد الشّرير. فقد وقع فيها الشقيّ هيرودس إلى حدّ وعد بنصف مملكته. إذ يقول الإنجيليّ مرقس: «وأقسَمَ لها أن مهما طلبت مني لأعطيَنّك حتّى نصف مملكتي» (مر٦:٢٣). **كان يحبّ سلطته لكنّه وقَعَ أسيرَ شهوته وذلك برقصة واحدة**.

***

لاحظوا طلبها «أعطني هنا على طبق رأس يوحنا المعمدان» إلى هذا الحدّ لم تخجل الفتاة وكأنّها تطلب مأكلاً شهيّاً. لم تقل آتِ به إلى ههنا واذبحه، لأنّها لم تكن تحتمل حضورَه ولا أمّها وأيضاً صوته. كانت هيروديا تريد أن تُسكت لسانه، بل أكثر من ذلك أن تراه مهاناً حتى بعد موته. لقد أطالَ اللّه آناته ولم يُنزل صاعقةً على وجهها، كما لم يسمح بأن تنفتح الأرض وتبلع هذا الاحتفال. وذلك لكي يتكلّل الصدّيقُ بإكليل أعظم ويُبقي تعزية أكبر لأولئك الذين سوف يُعانون في المستقبل ظلم الآخرين.

ليسمع ذلك كلّ من يعيش في الفضيلة ويعاني المساوىء من أناس أشرار. لقد أظهر اللّه طول أناته في ذاك الذي كان يعيش في البريّة ويلبس زنّاراً من جلد ورداءً من شَعر، الذي **كان نبيّاً وأعظم الأنبياء كلّهم**، أعظَم من كلّ الذين ولدوا من النساء. هذا الذي ذُبح من **فتاة هالكة ومن زانية فاسدة** في الوقت الذي كان يكرز فيه بالنواميس الإلهيّة. عندما نرى كلّ هذا نحتمل نحن أيضاً بشجاعة كلّ ما يقع علينا.

***

لأنّ هكذا يكون الزّنى. يجعل الناس بلا حشمة بل ويجعلهم حتّى قتلى. أولئك الذين يشتهون الزّنى مستعدّون حتّى لقتل أزواجهم الأبرياء وهذا ليس مرّة واحدة. على هذا عندنا شهادات كثيرة. فَعَلَت هيروديا ذلك ظانّة أنّ الأمر سوفَ يُنتَسى ويُخفَى، لكنّ يوحنا حتّى بعد مقتله أخذ يصرخ بازدياد وبصورة أشدّ.

الشرّ ينظر فقط إلى الحاضر. لو لم تذبح هيروديا يوحنا لما اكتشفت جرمها، لأنّ التلاميذ لم يقولوا أوّلاً شيئاً عند سجنه، لكن عندما قُتلَ فَتّشوا عن السَّبب وأعلنوه. كلّما أردت أن تُخفي خطيئة بفعل خَطيئة أخرى تعلنها بازدياد. **لا تُمحى خطيئة بخطيئة أخرى بل بالتوبة والاعتراف**.

لاحظ كيف أنّ الإنجيلي يروي ذلك كلّه بطريقة مناسبة ويدافع على قدر المستطاع من أجل هيرودس يقول: «حَزِنَ من أجل الأقسام والمتكئين» ومن أجل الفتاة يقول: «جاءت الصَبية بالرأس إلى أمّها» هذا كلّه لأنّ **الصدّيقين** لا يحزنون على الذين يقاسون الظلم بل يحزنون على الظّالمين.

لا تَخف أيها القطيع الصغير، لأنّ أباكم قَد سُرَّ أن يُعطيكم الملكوت (لو١٢:٣٢)

لا يجب أن نحزن ونتقلقل إزاء اضطرابات العالم ،
بل لتشتَدّ ثقتنا بالرب ،
وإن كان يُغَيِّم علينا بضباب تجاربه،
إلا أنّ اللّه قادرٌ أن يحلّ تكاثف الضباب،
ويجعل أمامنا الصحو العظيم ،
لأنه بعد الليل يأتي النهار،
وبعد الإضطراب يكون السكون.
والأتعاب هي اليوم وغداً وبعد ذلك الراحة الأبدية.

كيف سلك المسيحيون وسط عالم مخالف في القرون الأولى

إتجاه المسيحيين في مواجهة المقاومة والعنف

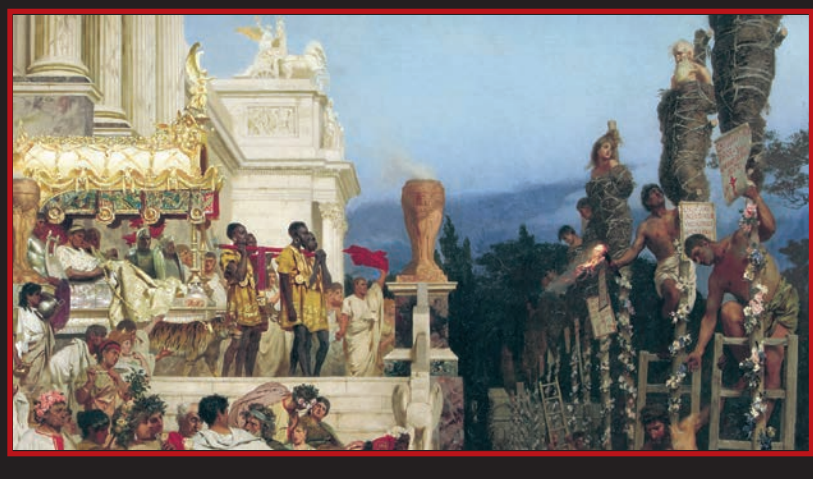

للأب متى المسكين

١ ـ عدم مقاومة الشّر:

واضحٌ جداً أنه كانت هناك ظاهرة كبرى هي إنتشار المسيحيّة في وقت قصير مقابل مقاومة السلطات الرومانيّة وعنف الغوغاء وكراهيتهم.

ثم تزداد الظاهرة وضوحاً، بالإتجاه الذي اتخذه المسيحيّون ـ كموقف عام لم يشذّ عنه أحد ـ تجاه العنف والمقاومة الموجَّهين ضدهم وضدّ كنائسهم. هذا الإتجاه تلخَّص في كلمتين: **لا مقاومة** – ولا حتى بظلّ من المقاومة السلبية، ولا بالطبع المقاومة المسلحة.

كما أنه لم تكن هناك معارضة في ساحات القضاء، وهو أمرٌ لم يكن يَرِدْ على الإطلاق في ذهن المسيحيين تبعاً لوصية القديس بولس الرسول: «ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟ فإن كان العالم يُدان بِكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى؟» (١كور٦:٢).

وحينما تكاثر عدد المسيحيين، ابتداءً من القرن الثالث، ولما أصبح المسيحيون متواجدين في كثير من مناحي الحياة العامة في الدولة الرومانية، في مناصب الحكّام والجيش وساحات القضاء وفي كل المهن عموماً؛ كان يمكن للعقل البشري أن يفكر في مثل هذه المقاومة أو المعارضة للإضطهاد ولو كعمل يائس لا فائدة له من ورائه. ولكننا لا نجد أثراً لمجرد التفكير في مثل ذلك.

ولكننا بالعكس نجد أن المسيحيين التزموا في موقفهم تجاه الاضطهاد المنظَّم ضدهم، بالتطبيق المباشر والبسيط بمبدأ «**لا تقاوموا الشّر**»، وبالتنفيذ الصارم لروح الإنجيل وحرفه (على السواء) من جهة «**قبول**» الألم.

وهكذا، وعلى مدى الجيلين والنصف، **تركوا أنفسهم بهدوء للإبادة بإسم القانون، فأحنوا رقابهم للسيف، لا صاغرين، بل فرحين**؛ واعتلوا منصّة الإعدام متهللين؛ ونزلوا إلى أعماق المناجم بحرارتها الخانقة؛ الأمر الذي أثار أولاً دهشة الوثنيين ثم إعجابهم ؛ والبعض من هؤلاء الوثنيين انقلب إعجابه هذا إلى تحوُّل إلى المسيحية ببطولة هادئة لا حدود لها.

٢ ـ الصلاة:

حقاً إن المسيحيين في ذلك الوقت لم يلهثوا وراء الإستشهاد ولم يستثيروا غضب الحكام عمداً ؛ فقد حرّمت الكنيسة إتيان ذلك وشدّدت عليه، لكنهم حينما حلَّ الإضطهاد، أعملوا سلاحاً واحداً تجاهه، ألا وهو السلاح الروحي، أعني **الصلاة** التي كانوا يوجّهونها إلى اللّه في الخفاء، داخل سراديبهم المختفية تحت الأرض. وهذا كان محور اهتمامهم ونشاطهم اليومي.

وكانت الصلاة تشمل أولاً الصلاة الليتورجية والتقدّم من الأسرار، أو الصلوات غير المحدّدة بالنصوص الليتورجية الخاصة أو الجماعية؛ والتي كانت إحدى السمات المميزة للحياة اليومية لتلاميذ المسيح. كما شملت صلوات الساعات التي كانوا يمارسونها على مدى ساعات النهار اليومية، كما يظهر ذلك من كتابات العلاَّمة اكلمنضوس الإسكندري، والقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة، والعلاَّمة أوريجانس؛ التي شملت تأملات وتوجيهات للمؤمنين على صلوات النهار اليومية أو الصلاة الربانية.

٣ـ ازدهار الكتابات اللاهوتية والروحية في هذا العصر:

لقد صاحب الصلاة ازدهار في الكتابات اللاهوتية والروحية. وهذه ظاهرة طبيعية تحدث حينما تستجيب النفوس لإلهامات الروح القدس في أزمنة الآلام والإضطهاد. فإن الآلام. كما قال القديسيون، هي بمثابة معصرة العنب أو فرك الزهور ذات الرائحة الطيبة؛ فهي تسفر عن رؤية روحية ومعرفة إلهية لأعماق حقائق الإيمان. وهكذا رأينا في عصور الإضطهاد الروماني كُتَّاباً كشفوا الكثير من أعماق الإيمان المسيحي مثل اكلمنضوس الإسكندري وأوريجانس وهيبوليتس والبابا ديونيسيوس الإسكندري وخلفائهم وتلاميذهم سواء في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية أو في الأماكن الأخرى ؛ ومثل لكتانتيوس في كتاباته الدفاعية التي كانت مستوحاة من نفس الروح.

وفي هذا المجال نجد عشرات الكُتَّاب الذين يُطلق عليهم اسم

الآباء الملتمسون أو المدافعون *apologists*، الذين كرّسوا أقلامهم لرفع التماساتهم عن الإيمان المسيحي إلى الحكام والأباطرة. وقد توجّهوا بكتاباتهم هذه ـ لا إلى عامة الشعب لإستشارتهم أو لاستجداء رضاهم ـ بل إلى طبقات المثقفين والحكام والأباطرة المستنيرين. ولكن كل هذه الكتابات، وبالرغم مما اتسمت به من حكمة وتعقُّل وترفُّع عن المهاترات، إلا أنها لم تسفر عن انتزاع أي اعتراف رسمي بالمسيحية كديانة شرعية في البلاد، بالرغم من أن بعض هذه الكتابات وصلت إلى أيدي بعض الأباطرة فعلاً، وربما قد استمالتهم مؤقتاً إلى تليين بعض مواقفهم تجاه المسيحيين.

٤ ـ المحبة:

لم يقتصر المسيحيون على الصلاة ومخاطبة عقول العقلاء فحسب، بل اتبعوا صلواتهم وأحاديثهم بالعمل. أما العمل هنا فهو «**المحبة**». وقد رأينا في تاريخ الكنيسة الكثير الكثير من أعمال المحبة التي أدّاها المسيحيون وهم في عمق أتون الاضطهاد. وكَمَثَلَيْن واضحين على ذلك ما أدّاه المسيحيون في قرطاجنة وفي مصر أيام **اضطهاد الإمبراطورين ديسيوس وغالينوس**، حينما اجتاحت البلاد موجات الطاعون المتكررة. إذ نزل المسيحيون إلى الطرقات يغيثون المرضى بهذا المرض القاتل اللعين، ويدفنون الموتى الذين ارتموا في الطرقات يأنف أن يمسَّهم أحد خوفاً من أن يلحقه مصيرهم حالاً، كما يتحدّث البابا ديونيسيوس الإسكندري بنفسه يصوِّر ما حدث بكلمات مؤثرة:

﴿وقد أعقب هذه النكبات (أي الإضطهاد) حرب تلاها جوع وشغب أصابنا نحن والوثنيين على السواء، ولكن الضرر الأكثر لحق بالفقراء والمساكين، الذين أثَّرَ فينا حالهم تأثيراً شديداً، فكنا نواسيهم ونشاطر كل من انتابته مصيبة في بلاياه، ونرثي لأمرهم، ونعطف عليهم عطفاً ينتج عن قلوب رقيقة وإحساسات مسيحية شريفة تتأثر لمصاب بني البشر الذين هم إخوتنا في الإنسانية ...

فلما قدم هذا الداء الوبيل .. . ظهرت إحساسات الإخوة المسيحيين نحو القوم المصابين، وبانت نواياهم الحسنة وعواطفهم الحبيبة مع كل مريض مدنف (دَنفَ المريض: ثَقُلَ مرضه ودنا من الموت)، حتى إنهم لم يخشوا شرّ الداء ولم يخافوا على أنفسهم من الهلاك، بل عمدوا إلى تمريض الضعفاء وسدّ حاجات المعوزين ... وكان كثيرون من هؤلاء الإخوة الذين يخدمون المرضى يموتون معهم بعد أن يُصابوا بعدوى أمراضهم ... كانوا يموتون فرحين مسرورين لموت هو رقاد مؤقت تعقبه حياة أبدية سعيدة ... لقد مات الكثير من المسيحيين فداءً لإخوانهم المرضى، وهو عمل يظهر منه ... المسيحي الحقيقي الذي يضع نفسه عن الآخرين كما فعل سيّده من قبله.

ففي زمن هذا الوباء انتقل الكثيرون من خيرة الأخوة، وذهبوا إلى الدار الباقية، شهداء الخدمة المسيحية، وكان فيهم القسوس ومشايخ الكنيسة وشمامستها وغيرهم من الشعب ... فالموت بهذه الكيفية وما اقترن به من شفقة عميقة وإيمان حارّ وغيرة تقوية ومحبة مخلصة لا يقلّ في الأهميّة عن الإستشهاد الذي يحدث في زمن الإضطهادات﴾. (أقوال البابا ديونيسيوس الإسكندري).

٥ ـ الإرتباط السِّري بين الصلاة وقبول الآلام:

قد يظن بعض البسطاء أن الإستشهاد المسيحي عمل بطولي مثله مثل الأعمال البطولية الأخرى في كافة الميادين. لكن الإستشهاد المسيحي يتميّز بأنه بمثابة شركة حقيقية مع آلام الرب يسوع المتألم نيابة عنا وهو البريء حقاً ؛ وبالتالي فإن الصلاة تحلو في أزمنة الآلام وتنتعش وتزكو رائحتها في معصرة الإضطهادات، إذا كانت بحق شركة في آلام الرب وتعاذيبه.

وهذا الإختبار السِّري *Mystique* اجتازه المسيحيون الأوائل ببساطة ودون مشقّة تُذكر، لذلك تمجّد الرب في آلامهم وتعاذيبهم، واستُعلنت حقاً كرازة الإنجيل في موتهم أكثر مما في حياتهم.

وفي وثيقة البابا ديونيسيوس التي اقتطفنا منها النص السابق عن أعمال المحبة التي أتاها المسيحيون في مصر أثناء وباء الطاعون، في نفس هذه الوثيقة يُظهر البابا ديونيسيوس هذا الإختبار السِّري الذي عاشته الكنيسة وأبنائها في مصر أيضاً: ﴿ ... إن الوقت الحاضر أصبح كغيره في الأوقات الغابرة إذ يعسر فيه على الكثيرين من المسيحيين أن يؤدوا صلوات عيد الفصح (بسبب مطاردة الشرطة الرومان لهم) ... وأصبح الإنسان لا يقع نظره إلاّ على عيون تدمع وقلوب تفجع ومآق تسيل على الخدود بدل الدمع السخين الذي تنشقّ له الأعين حزناً على أناس أتقياء كثيرين ماتوا ودرجوا إلى العالم الباقي ...﴾. ■

ابتهال للقديس يوحنا ذهبي الفم

المجد لك يا إلهنا المجد لك ، المجد لك يا سيّدنا يا إلهنا الذي يتغاضى دائماً عن خطايانا ، المجد لك يا سيدنا يا إلهنا ، الذي مكّنني من رؤية هذا النهار. المجد لك أيها الثالوث القدوس إلهنا ، إنّي أعظّم قداستك التي تفوق تصوري ، وأمجّد تغاضيك عن خطاياي باستمرار ، أشكر وأعظّم رحمتك الغير محدودة، فبالرغم من أنني أستحق كل عقوبة وعذاب إلا أنك ترحمني وتعمل معي الخير. أقدم لك الآن التمجيدات ، لك العظمة يا سيدي وإلهي .

العناية الإلهية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

هل عثرت النفوس بسبب الإضطهادات في العصر الرسولي؟

راعي الخراف العظيم ربّنا يسوع المسيح

الفصل الرابع عشر

هل عثرت النفوس بسبب الاضطهادات في العصر الرسولي ؟

وجدت عثرات كثيرة في أيام الرسل وتأثّر بها كثيرٌ من الناس وهلكوا. كما تعرّض الكارزون للاضطهادات والموت.

١ ـ قل لي: ماذا حدث في أيام الرسل؟ ألم تحدث لهم بلايا وعثرات واضطهادات مشابهة؟ اسمع ما يقول بولس: « أنتَ تعلم هذا أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني، الذين منهم فيجِلُّسُ وَهَرمُوجانسُ» (٢تي١:١٥).

ألم تكن السجون مقرّاً للكارزين؟ ألم يُثقّلوا بالقيود؟ ألم يحتملوا أسوأ البلايا من الأقارب والغرباء؟ ألم يَشر بولس الرسول إلى هذا عندما استدعى الأفسُسيين إلى ميليتس؟

٢ ـ « لأني أعلم هذا، أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئابٌ خاطفة لا تشفق على الرعيّة، ومنكم أنتم سيقوم رجالٌ يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ ورائهم» (أع٢٠:٢٩-٣٠). ألم يسببَ له **اسكندر النحاس** شروراً كثيرة (٢تي٤:١٤)؟ إذ هاجمه من كل الجوانب وحاربه، وتتبعه بالضيقات وأثار ضده حرباً عنيفة، حتى أن بولس الرسول حذّر تلميذه منه قائلاً: «احتفظ منه أنتَ لأنه قاوم أقوالنا بشدّة» (٢تي٤:١٤).

٣ ـ ألم يفسد إيمان أهل غلاطية بواسطة بعض الإخوة الكذبة ؟. في بدء الخدمة ظهر **إستفانوس**، هذا الإنسان الذي فاضت بلاغته كالأنهار وأبكم كثيرين مبكتاً الألسن اليهودية الآثمة، ولم يقدر أحد على مقاومته، ونصب تذكاراً لامعاً وأحرز انتصاراً بهياً.

٤ ـ كان هو الإنسان النبيل المملوء حكمة استفادت منه الكنيسة كثيراً رغم قصَر مدّة خدمته. عند كرازته ألقوا القبض عليه مع آخرين وحُوكِمَ ورُجِمَ كمُجَدِّف. وماذا عن يعقوب الرسول؟ ألم يقتله هيرودس ليرضي اليهود، وكان ذلك في البداية! فرحل عمود الحياة هذا وقاعدة الحقّ.

٥ ـ كم عثر آنذاك أمام هذه الأحداث؟ لكن الثابتين (حرفيّاً الواقفين) ظلوا ثابتين، وسيظلوا هكذا. اسمع ما يقوله بولس وهو يكتب إلى أهل فيليبي: «ثم أريد أن تعلموا أيها الأخوة أن أموري قد آلت أكثر لتقدّم الإنجيل، حتى أن وُثقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع، وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوُثُقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف» (في١:١٢-١٤).

٦ ـ أترى هذه الشجاعة؟ أتنظر هذه الثقة؟ أترى القوة الروحية وطريقة التفكير المسيحي (السليم)؟ لقد رأوا معلمهم في السجن مقيّداً، مجبر على استداد (سَدِّ) فمه للكرازة، مضروباً، يعاني أسوأ العذابات، وليس لم يعثروا ويتأثروا وحسب، بل بالأكثر صاروا أكثر حماساً، وأعطتهم آلام معلمهم مزيداً من الاندفاع نحو الحروب (الروحية).

٧ ـ لستُ أنكر أن البعض هلكوا. فمن الطبيعي أن ينهار الكثيرون أمام هذه الأحداث، لكن ما سبق أن قلته، لن أتوقف عن تكراره وسأقوله الآن أيضاً، إنه من العدل أن يُرجع هؤلاء المعثَرين ضعفهم إلى أنفسهم ذاتها، وليس إلى طبيعة الأحداث. لقد ترك لنا السيد المسيح هذا الميراث المشترك إذ قال لنا: «في العالم سيكون لكم ضيق» (يو١٦:٣٣)، «وتُساقون أمام ولاة وملوك» (مت١٠ : ١٨) و «تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدّم خدمة للّه» (يو ١٦ :٢)، فباطلاً تعترض على وجود أناس متعثرين ، لأن الضيق مستمرٌ على الدوام.

٨ ـ ولماذا أذكر تجارب الرُسل؟! كم من أناس تعثّروا أمام صليب المسيح ربّنا كلّنا وصاروا أكثر شرّاً وسفاهة؟ في مرورهم أمامه كانوا يستهزئون به ويقولون: «يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة ايام ... خَلِّصَ آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها. إن كنت ابن اللّه فانزل الآن عن الصليب ونحن نؤمن بك» (مت٢٧ : ٣٩-٤٢).

٩ ـ مع هذا لا يمكن أن يكون الصليب عذراً لهم، لأن اللص سيَدين كلّ الناس الذين من هذا النوع، لأنه ألقَى نظرة على المصلوب وليس أنه لم يعثر وحسب، بل وجد فيه علّة للبحث عن الحكمة الحقة. وبعدما تخطى البشريات ارتفع بجناح الإيمان وتأمّلَ في الآتيات.

١٠ ـ لم يعثر اللص بالرغم من رؤيته للسيّد المسيح مصلوباً مهاناً، يشرب الخل ويُبصَق عليه، يستهزىء به كل الشعب وحكموا عليه بالموت. فهو إذ رأى الصليب (والمصلوب) والمسامير في يديه والشعب الفاسد يستهزىء به، سار حسب الطريق المستقيم قائلاً: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» (لو٢٣ : ٤٢).

١١ ـ لقد أبكم الشاتمين معترفاً بخطاياه! ، وتأمّل القيامة دون أن يرى الموتى وهم يقومون ولا رأى البرص يطهرون أو العرج يمشون أو البحر مبكماً أمام المسيح، ولا الشياطين يُطردون ولا

الأرغفة تتكاثر وبقية المعجزات التي رآها اليهود ومع ذلك صلبوا المسيح.

١٢ ـ إذ رآه اللص اعترف به الهاً وتذكر ملكوته وتأمل الأبدية، أما اليهود على العكس فقد رأوه يُجري المعجزات، وكان لهم امتياز سماع تعاليمه بكلماته وأعماله، وليس لم ينتفعوا بها وحسب، بل انحدروا إلى أعماق الجحيم لهلاكهم برفعهم إياه على الصليب.

١٣ ـ ها أنتَ ترى أن الجهال وغير المكترثين لم يجنوا أية منفعة مما هو مفيد، لكن من هم مهيأون حسناً ويقظون، فقد جنوا منفعة عظيمة من الأحداث التي أعثرت غيرهم. يمكن تأكيد هذا بالنسبة **ليهوذا** وبالنسبة **لأيوب**.

في الواقع إن يهوذا ما كان ليخلص ولا حتى بواسطة المسيح الذي هدى الأرض إلى الطريق المستقيم، وأيوب لم يصبه أي ضرر من جانب الشيطان مع أنه سبّب هلاك كثيرين.

١٤ ـ أحدهم (أيوب) عانى بلايا كثيرة واستحق إكليلاً، والآخر (يهوذا) الذي رأى معجزات بل عملها بنفسه، إذ أقام أمواتاً وطرد شياطيناً، لأنه هو أيضاً نال نفس السلطان، وقد سمع أموراً كثيرة عن الملكوت وجهنم وشارك في العشاء السري إذ كان حاضراً في الوليمة التي تُلهم مخافة تقوية، وقد أُنعِمَ عليه بنفس الإحسان ونال نفس الاهتمام كبطرس ويعقوب ويوحنا وكثيرين غيرهم.

١٥ ـ لأنه غير الاهتمام والتلطف الذي كان زائداً فقد أسند إليه صندوق الفقراء. هذا الإنسان أُصيب بعد ذلك بالضلال، وبعد أن قَبِلَ الشيطان بالطمع، صار خائناً بحسب نواياه (السيئة) ، **واقترفَ أعظم جريمة إذ باع هذا الدم (الزكي) بثلاثين من الفضة وسلّم معلمه بقبلة غاشة.**

١٦ ـ يا تُرى كم تظن عدد الذين أُعثروا أمام الخيانة التي أتت من مثل هذا التلميذ؟ وساكن الصحراء (يوحنا المعمدان) الذي هو ثمرة امرأة عاقر، ابن زكريا، والذي اعتُبر جديراً لعماد هذه الرأس المقدسة، وأن يكون بشير سيده، عندما كان في السجن وذُبح وكان قتله ثمناً لرقصة خليعة، كم من الناس أُعثروا آنذاك!

١٧ ـ ولماذا أقول آنذاك؟ كم من أناس ـ بعدما مضى كل هذا الوقت الطويل ـ عند سماعهم لهذه القصة يعثرون الآن أيضاً؟ ولماذا الكلام عن يوحنا (المعمدان) وعن السجن، وعن هذا القتل، لماذا أتعوّق عند العبيد بينما يليق الاندفاع نحو السيد!

الفصل الخامس عشر
الجهلاء عثروا حتى بأعظم الخيرات، أقصد الصليب الذي به تم خلاص العالم

١ ـ الم يكن صليب المسيح عثرة لكثيرين وهو الذي أنهض العالم (من نوم الغفلة) وبدّد الضلال وحوّل الأرض إلى سماء ، وكسر قوى الموت، وجعل الجحيم عقيماً، ودمّر قلعة إبليس، وسدّ

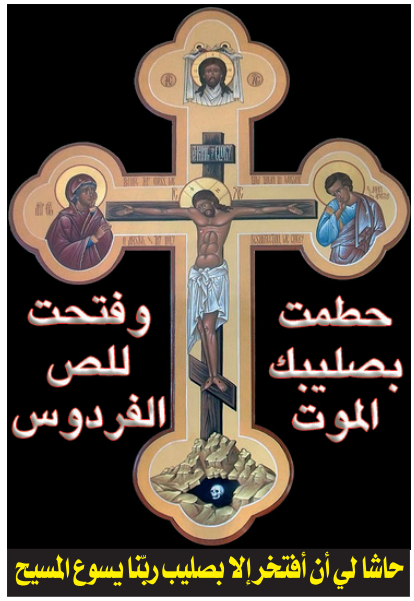

أفواه الشياطين، وجعل البشر ملائكة، وخرّب المذابح وهدم الهياكل (الوثنيّة)، وغرس هذا الدين الجديد والعجيب، وكان هو الصانع لإحسانات كثيرة سببت احتراماً مهيباً وعظيماً، وكان صعبٌ اقتناءها .

٢ ـ الم يبشّـر به بولس ويشهد لكونه عثرة قائلاً: «نحن نكرز بالمسيح مصلوباً ، لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة» (١كو١:٢٣).

أخبرني: هل كان ينبغي ألا يوجد الصليب، ولا نقدم هذه الذبيحة لأنها كانت عثرة لمن هلكوا آنذاك وبعد ذلك وفي كل عصر.

٣ ـ من سيكون جاهلاً وغبياً جداً ليقول هذا؟ وأيضاً لا يلزم أن نضع في الاعتبار مَن قَد عثروا ولو أنهم كثيرون، بل مَن خلصوا ومَن تم اقتيادهم إلى الطريق المستقيم، ومَن قد انتفعوا بمثل هذه الحكمة. ألم يلزم القول: ما الذي يهم فيمن قد عثروا؟ لأنه لا ينبغي أن يُعزى الخطأ إلاّ إليهم. والأمر هو هكذا الآن أيضاً.

٤ ـ في الواقع إن العثرة لا تأتي من طبيعة الصليب، بل من حماقة الذين عثروا. لهذا السبب أضاف بولس قوله: «... وأما للمدعوين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوّة اللّه وحكمة اللّه» (١كو ١:٢٤). لأنّ الشمس تؤذي عيون المرضى، فماذا؟ ألا ينبغي أن توجد الشمس؟ العسل يبدو مرّاً لمن هم مرضى، فهل ينبغي أن يختفي من الحياة اليومية؟ ألم يكن الرسل أنفسهم رائحة موت وتلد الموت للبعض، وللبعض الآخر رائحة حياة تلد حياة؟ هل كان يلزم بسبب المائتين ألا ينتفع الأحياء من مثل هذا العون العظيم؟

٥ ـ كم هو عدد الذين تعبوا من مجيء المسيح نفسه، وهو خلاصنا ومصدر الخيرات والحياة وأعاجيب لا حصر لها؟ كم بسببه تجرّدوا من العذر والغفران؟ ألم تسمع ما قاله المسيح بخصوص اليهود، «لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذرٌ في خطيتهم» (يو٥:٢٢)؟

٦ ـ فماذا؟ هل كان يلزم ألا يأتي المسيح بسبب مَن لم ينتفعوا من هذا المجيء؟ مَن يجرؤ على قول هذا؟ لا أحد على الإطلاق يقول هَذا، حتى ولو كان في منتهى الحماقة.

وأيضاً قُل لي: كم عدد الناس الذين صار لهم الكتاب المقدس سبب عثرة؟ كم من هرطقات وحدّت علتها منه؟ هل كان ينبغي أن يتلاشى الكتاب بسبب مَن قَد عثروا؟ أم كان يلزم ألا يُعطَى منذ البدء؟ بالتأكيد كان يلزم أن يُعطَى لمن سينتفعوا منه. أما الذين قد عثروا، فلن أتوقف عن أن أسوق نفس الكلام، وهو أنه ليعزّوا (ينسبوا) العثرات إلى أنفسهم. أما الذين انتفعوا بأعظم الفوائد كانوا سيعانون من خسارة عظيمة لو أنه بسبب جهل وإهمال الآخرين كانوا قد حُرموا من نوال ما كان مفيداً لهم.

لا تتكلموا عن الذين هلكوا، لأنه كما قلت في نصٍّ سابق، مَن لم يؤذ نفسه، لا يمكن أن يعاني ضرراً من جانب الآخرين، حتى لو كانت حياته في خطر. ■

في عود الصليب

عظة للقديس أفرام السرياني

أيها الأخوة، كالعود المغروس في وسط الفردوس (تك٢:٩) هكذا يكون الصّليب في الأماكن المقدّسة. ذلك العود قد أخرج ثمرة الحياة وأفاض ينبوعاً يروي أبديّاً، وأمّا الصّليب الحاضر فقد أثمر وأفاض من جنبه ينبوعاً من دم وماء (يو١٩:٣٤). ذلك العود كان في وسط الفردوس، **وأمّا هذا الصّليب فقد نُصبَ في وسط الأرض** كما شهد داود النبي للّه قائلاً: «صنع خلاصاً في وسط الأرض» (مز٧٣:١٢). هناك غُرس، وهنا تحقّق ؛ فلقد أبدع اللّه الفردوس كإله وأمّا الصّليب فقد صَابر عليه كإنسان.

ذلك العود المغروس قد منح الحياة، وأمّا عود الصّليب هذا فيمنح الحياة الأبديّة مجّاناً لمن يريدونها. ذلك قد أُعطي لآدم فقط ليسوده، وأمّا عود الحياة هذا فمباحٌ لكلّ من يودّ التمتّع به. ذلك العود قد مُنع التمتّع به من جرّاء معصية آدم، وأمّا عود الحياة هذا فيُشرك الخطأة أنفسَهم في الحياة بالتوبة.

ذلك العود المغروس قد أعطى ثمراً للحياة الأبديّة، وأمّا عود الحياة هذا فقد اكتسب ما لم يكن عليه قبلاً إذْ صارَ غيرَ فاسد بعد أن كان فاسداً ، ولم يعد من بعدُ مجرّدَ عود بل بالإيمان صار ينبوعاً لحياة أبديّة. والبرهان على أنّ الصّليبَ يُنبع حياةً هو ما قاله يسوع: «أنا هو الحياة والقيامة» (يو١١:٢٥)، وكذلك الرّسول الذي يقول إنّا قد اعتمدنا لموت المسيح من أجل حياةٍ أبديّة (رو ٦ : ٣).

يا لقوّة الصّليب الإلهيّة، إذْ جعلنا نتمتّع بالفردوس **مانحاً إيّانا الحياة الجديدة في المسيح !** والويل لليهود والوثنيّين لأنهم لم يميّزوا عودَ الحياة وإن سكنوا الفردوسَ العام.

الويلُ لليهود لأنّهم لم يعرفوا ثمر الحياة على الرّغم من أنّ اللّه قد ائتمنهم على فلاحة كَرْمه. الويلُ لليهود لأنّهم عميانٌ فلم يعرفوا اللؤلؤةَ الثّمينة المعلّقة علىَ الصّليب.

الويل لليهود لأنّهم أخذوا على عاتقهم العنايةَ بالحقل من دون أن يدركوا، مع ذلك، الكنزَ الذي كان على العود فأسلموه إلى الأمم الوثنيّة. الويل لليهود لأنّهم إذْ كانوا موكّلين على الكَرم حُرموا من فرح ذلك العود وتركوا لنا ذلك الكنز من دون أن يأخذوا منه شيئاً ! فبسبب كسلهم أتلفوا ثمر الكَرم، ولذلك انتزعه اللّه منهم وأعطاه لنا ، أخذ الكرم ومنحه للأمم (متى٢١:٤١). فأعطى أثماراً مضاعفة.

وَمَن ثَـمَرُ كَـرْمِ المسيح غيرُكم ؟ وأنتم عديدون وكذلك الثمـار. كـان المسيح يطـلب في المجمع ولـو عنقوداً واحداً، فقال له الأنبياء: «ضَلّوا كلّهم جميعاً . ليس مَن يعمل صلاحاً ولا واحد» (مز١٣:٣). وأمّا أنتم فتشتركون في نعمة المسيح، **أنتم كلّكم ثمر كرمه الذي فيه**

غُرس العود. ذلك أنّ شعب اللّه في العهدين القديم والجديد إنّما هو حقل اللّه وثمره في آن معاً ولذلك يقول الرّسول بولس: «أنتم فلاحة اللّه بناء اللّه» (١كور٣:٩)، وكما قال أشعيا لليهود:«كرم ربّ القوّات هو ميراث إسرائيل وأناس يهوذا هم الغرس الجديد المحبوب» (أش٥:٧). جاء الربّ إذاً إلى هذا الكرم طالباً الثّمار، إلاّ أنّ أشعيا يقول أيضاً:

«لماذا تطلب ثماراً من الكرم الجافّ ؟ لماذا تطلب عنباً ؟ هل تنتظر من العميان أن يهتمّوا بالفلاحة ؟ سوفَ يعطونَك أشواكاً عوَضاً عن ثمار العناقيد. انتظرتَ أن يُثمر عنباً فأثمر حصرماً بريّاً» (أش ٥: ٢).

إنّ اليهود الذين أعمتهم الأهواء لم يكترثوا للكرم فأضاعوا بكسلهم كلّ ما تَعبَ الآباء به من قبلهم. ولذلك قال نبيٌّ آخر للمسيح الذي كان يَطلب الثمر:

«احترقت الكرمةُ بالنّار واقتُلعت...خنزير الغاب أتلفها ووحش البرّ افترسها» (مز٧٩:١٤ و ١٦).

وأيضاً عندما جاء سيّد الكرم أيبس التينة التي عطّلت الكرم، ثمّ بعد أن غرس فيه التقوى الجدّية من جديد قدّم لنا الكرم. أيبس التينة وغرس الصّليب في الكرم، ولذلك قال حزقيال النبيّ عنه (أي عن المسيح).

«أيبَستَ الشّجر الرّطب وثبّتَّ الشّجر اليابس» (حز ١٧:٢٤).

أولمْ يُفرع الصّليب الذي أعطى ثماراً غنيّةً كهذه فأشبع المصلوبُ الكنيسةَ وكلَّ شعبها بوفرة ؟!

يا لها من قوّة! قوّة الصّليب ، إذ أصبح الحقلُ حقلَ زيتونٍ

وكرماً مثمراً، والثّمر الطّالع هو خبزٌ وزيتٌ وخمرٌ يفيض على كلّ الأمم.

المسيح هو كلّ ذلك، وهذا ما يقوله الإنجيلي «أنا هو الخبزُ النّازل من السماء» (يو٦:٥١). وقد صار هو نفسه خمراً: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان. أي هو الكرّام» (يو ١٥:٥ و١٠)، وزيتاً أيضاً كما يقول النبيّ: «أمّا أنا فإنّي مثل زيتونة مثمرة في بيت اللّه» (مز ٥١ :٨).

أيها الأحبـاء، إنّ سرّ هذا الحقل لعظيمٌ هو، إذ في ثلاثة أيّام أظهر ثماراً كاملة. تقبّل الزرع يوم الجمعة وفي يوم واحد أفرع كاملاً. غرس الكرم قبل يومين وظهر العِنب في اليوم الثالث فمنح الكلّ خمراً وافراً. وكلّما استمرّ هذا العجب صار أطيب «لأنّ كل واحد يقدّم الخمرة الجيدة أولاً ومتى سكروا حينئذ الدون. أما أنت فقد أبقيتَ الخمرة الجيّدة إلى الآن» (يو٢: ١٠) .

القديس أفرام السرياني

إذاً جاء المسيح آخراً فصار أوّلاً كما يقول: «هو الذي يأتي بعدي صار قدّامي لأنّه كانَ قَبلي. وأنا لم أكن أعرفه» (يو١:١٥ و٣١).
يا لها من ينابيع لا تنضب تنبجس (تتفجّر) من ذلك العود ! فهو يَهب الجميعَ التّمتّع بالخلود وكلاًّ على قدر طاقته.

ويقول بولس: «عندنا هذا الكنز في آنية خزفيّة» (٢كور ٤:٧)، أمّا أنا فأجيب عن كلامه بالمقابل وأقول إنّه عندنا هذه الكنوز في عود الصّليب هذا. كما ولا يحتاج هذا الحقل إلى أمطار، ولا إلى ماء حسّي، ولا إلى تبدّلات في الجوّ عبر الأيام وأدوارِ السّنة، ولا إلى جفاف الصّيف، بل على شبه المَنّ تنضج ثماره بصورة مباشرة.

وحتى لا يشكّ المرء في كلامنا عن **المسيح أنّه خبزٌ وخمرٌ وزيت** علينا أن نثبّت ذلك عن طريق الكتاب المقدّس من عهده القديم حيث يقول داود: «ذوقوا وانظروا ما أطيَبَ الربَّ. فطوبى للرجل المتوكّل عليه» (مز٣٣:٩).

هلمّوا إذاً لنأكل من **ثمر حياة المسيح الأبديّة** لنصيرَ صالحين، لأنّنا إن اغتذينا من هذه الأطعمة صرنا أناساً سماويّين على اسم **يسوع المسيح ربّنا** الذي يليق به المجد إلى دهر الداهرين آمين.

الأرثوذكسيّة (٢٧)
قانون ايمان لكل العصور

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار قاعدة الأيمان

اللّه يتطلّع من السماء

تطلّع اللّه من السماء ورأى الرجال والنساء وحيدين، يبحثون، يتوقون، يجوعون إلى شيء لا يمكنهم أن يجدوه في أي مكان على الأرض، فقال: «انزل وأكون لهم خبز الحياة حتى كل مَن يُؤمِن بي لا يجوع» ولهذا صار الكلمة جسداً.

تطلّع اللّه إلى الأرض ورأى أولاده مقهورين بالحزن والموت فقال:«أنزل وأعيش بينهم وأقتُل موتهم بقيامتي حتى أُريهم أنَّ بإيمانهم بي لا يعودون يخافون الموت بعد»،ولهذا صار الكلمة جسداً!

تطلّع اللّه إلى الأرض ورأى الناس في خطيِّتهم، في إثمهم، في تحزّبهم، في بغتضهم، ومع ذلك فهكذا أحبَّ اللّه هذا العالم الخاطىء، حتى قال: «أنزل لا لأُدينهم بل لأُخلّصهم، حتى يجد العالم الحياة بي»، لهذا: «صار الكلمة جسداً وحلَّ بيننا، هذا المملوء من النعمة والحق ... ورأينا مجده مجداً كما لابن وحيد لأبيه ... ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا نعمة فوق نعمة» (يو١:١٤–١٦).

إذا تطلّعنا إلى المشاكل التي تواجهنا الآن، فمن السهل أن نكتئب ونقول: «**انظر إلى ما صار إليه العالم!**». أمّا نحن كمسيحيين فلنا رجاء خاص، رجاء يرتكز على حقيقة أن اللّه أرسَل مُخَلِّصاً إلى العالم، هذا هو الإكتشاف المُذهل في بيت لحم. فكما ننظر إلى العالم ومشاكله، فنحن ننظر أيضاً إلى يسوع ونقول: «انظر إلى مَن جاء إلى هذا العالم!» المخلص الذي أتى ليجعل كل شيء جديداً!

ليس هناك اكتشاف أو إعجاز في التاريخ يمكن أن يُقارَن بالإنذهال من أن اللّه دخل إلى العالَم يوم الميلاد، ولكن لن نعي هذا الإعجاز **إن لَم نفتح باب قلبنا وندعه يدخل حياتنا كربٍّ ومُخَلِّص**، عندئذ نتذوّق حلاوة غفرانه ورقّة محبته وسلامه الفائق الصفاء.

حتى متى نشتري الدنيا بآخرة

حتى متى نشتري الدُّنيا بِآخِرةٍ
سفـاهَةً ونبيـعُ الفَـوْقِ بالدُّونِ
معـلّـلين بـآمـالٍ تُخـادعنـا
وزُخْرفٍ مِن غرورِ العيشِ موصونِ

موصون: من الصيانة والحفظ

الحقيقة الصعبة !!

مؤامرة كبرى

لإزالة الوجود المسيحي من الشرق

بقلم الباحث: ي. ك. من لبنان

قرار الإزالة إذا صحَّ كيف نواجهه؟

في **سنة ١٩٧٤م** عُقد في **لاهور (في الباكستان)** مؤتمر إسلامي ضمَّ **٣٧** دولة إسلامية، تمثَّلَ فيه لبنان بوفد مسيحي ـ ضيف ـ برئاسة **المثلث الرحمة البطريرك الياس الرابع للروم الارثوذكس وعضوية المونسنيور اغناطيوس مارون والاستاذ شاكر أبو سليمَان.**

وقد لقي الوفد المسيحي كل ترحيب لدى المؤتمرين والسلطات الباكستانية وكان للكلمة التي ألقاها **البطريرك** بالمناسبة عن قضية القدس والفلسطينيين صدى حسن. لكن سَرَت فيمَا بعد شائعة مفادها أن قراراً سريّاً اتخذ في المؤتمر بإزالة الوجود المسيحي من الشرق قبل نهاية هذا القرن (القرن الـ ٢٠). وظلت مجرّد شائعة حتى أثارها بعد عقد من السنين (في أيار سنة ١٩٨٤) **محرّر جريدة الفيغارو الفرنسية، فأثارضجة كبيرة**. وانبرى **حبيب الشطّي أمين سرّ المؤتمر الإسلامي العالمي**، يردّ على المحرر بعنف نافياً كل ما ورد في المقال.

ولكن محرّر الفيغارو عاد فأكد في مقال لاحق المعلومات التي حصل عليها. فأعلن الشطّي أنه **سيرفع على الجريدة دعوى، حشَدَ لها سبعين من كبار محامي العالم!...** والدعوى لم تُرفَع، والجريدة لم تعد تحرّك ساكناً، **ولفَّ القضية صمتٌ... لم يفسّره لنا أحد!**

هيرودس يقتل أطفال بيت لحم ظاناً أنّه بهذا يقتل المسيح رسول المحبة السلام الذي تجسّد لخلاص العالم، وللأسف مازال هيرودس يخدم الشيطان قتّال الناس، يقطع هامات المسيحيين ويضطهد ابناء الملكوت حتى يومنا هذا بدون رحمة ولا شفقة، تحت شعارات إيمانية كاذبة، فحربنا إذاً هي ضدّ قوّات ظلمة هذا الدهر الشرير؛ ولكن ثقوا فإني قد غلبتُ العالم، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر

١ ـ قرار قديم

إن قرار إزالة المسيحية من الوجود اتُخذ منذ بدء عهد المسيحية. لأن وجودها منذ البدء كان تحدّياً لسائر الأديان مزعجاً. وخطراً على الأنظمة المرتبطة بها. لذلك قاومها اليهود منذ البدء، واضطهدها الرومان طوال ثلاثة قرون بغية إزالتها من الوجود. ولكنها في النهاية انتصرت **«فحطّم السلطان ما كان يُعبَد وعبد ما كان يُحطَّم»**.

أما الاسلام، فيشوب علاقته، من حيث المبدأ، بالمسيحية التباس عظيم. فانك لتجد في القرآن آيات تمتدح أهل الكتاب، وآيات تكفّرهم بل تحرّض على مقاتلتهم. يبقى أن الرأي السائد في الاسلام يكفّر المسيحي. والكافر في الاسلام يجب أن يُحارَب. وهذا بعض ما يفسّر تقلّص المسيحية حيث سيطر الاسلام ديناً ودولة، لا بفعل الدعوة الدينية، بل بفعل الضغوط والحرب والتقتيل.

ألم تكن هذه المنطقة المشرقية (المؤلفة من لبنان وسوريا والأردن وفلسطين) آهلة بأكثر من **سبعة ملايين مسيحي**، قبيل **الغزو العربي الاسلامي، فأين هم الآن؟** البقية الباقية، البعض منهم **صمد بفضل عناده واعتصامه بوعر الجبال**، وظلَّ البعض الآخر متواجداً **«ذمة في عنق المسلمين»**.

ويجب القول هنا أن ذاك كان، إلى حدٍّ ما، قدر غير المسيحيين قديماً ؛ في بلد مثل اسبانيا كانت المسيحية فيه دين الدولة. لأنه حيث لا فصل بين الدين والدولة لا سبيل للتعايش بين الأديان المختلفة، حتى إذا كان الإلحاد مذهب الدولة، كما في الاتحاد السوفياتي وغيره من الدول الشيوعية. **فالدولة الدينية لا تكون إلا متعصّبة، مضطهدة**. لذلك عندما يدعو مشايخ من عندنا إلى قيام دولة اسلامية تحفظ بزعمهم، وعلى أكمل وجه، حقوق جميع المواطنين، بتطبيق شريعة الله المُنزلَة في القرآن على الجميع فانهم يجهلون أو يتجاهلون التاريخ والواقع اليوم، وينسون أو لا يريدون أن يفهموا أن تلك الشرائع ـ السياسية والاجتماعية والطقسية ـ إنما وُضعت في زمن معيَّن لمصلحة شعب معيَّن، لمصلحة **«خير أُمَّة أخرجها اللّه للعالم»** دون سواها. هذا، واننا نرى اليوم أن الدول الاسلامية التي تحاول أن تطبق الشريعة القرآنية على رعاياها جميعاً، تصطدم، حتى في صفوف المسلمين، بعقبات تضطرها إلى العدول عن هذا المشروع المتخلّف، وإما إلى المواربة في تطبيق الشريعة مع الحفاظ على حرف النص مراعاة لشعور بعض المسلمين المتطرفين.

٢ ـ من يقرأ الأحداث الأخيرة...

أما مشروع إزالة الوجود المسيحي من لبنان ـ وتباعاً من الشرق كله ـ فقد دلّت الأحداث الأخيرة التي وقعت في إقليم الخروب ومنطقة صيدا، على أنه لا يزال قائماً. إذ يصعب أن نصدّق أن «**ردّة الفعل**» والدوافع السياسية وحدها تسببت في ما ارتكب من فظائع بربرية، بتهجير المسيحيين، وتقتيل الأبرياء وتقطيع أوصالهم والتشنيع بجثثهم بمثل هذه الوحشية. يُقال بالمقابل أن المسيحيين أيضاً قتلوا وعذّبوا. هذا صحيح. وصحيح أن ذلك بالنسبة إليهم كان «**ردّة الفعل**»، فالمسيحي لا يكره المسلم لأنه مسلم. ليس له من دينه ـ كما لغيره، ما يخوّله أن يكره مَن كان من غير دينه ويحاول إزالته من الوجود، بل العكس هو الصحيح، فالإنجيل يأمره بالمحبة، وبمحبة أعدائه أنفسهم. وهذا هو الفارق الكبير والمؤلم: **ان المسلم المجاهد في سبيل اللّه يؤمن أنه بقتله المسيحي يدخل الجنّة**. فيصحّ في المسيحيين قول **السيّد المسيح** لهم: «ويظن الذين يقتلونكم أنهم يقدّمون لله قرباناً» وقوله في موضع آخر: «وستكونون مبغضين من الكل لأجل اسمي». فلا عجب إذا استمرّت فكرة إزالة المسيحيين من الوجود عبر الأجيال، حتى أيامنا، **وفي أيامنا أكثر منها في الأمس**. وإذا كان من ينبذ هذه الفكرة فلدوافع إنسانية لا علاقة لها بالدين. لذلك كانت مواقف المسلمين من المسيحيين في هذا الشرق، طوال تاريخهم معاً، عُرضة لتقلبات لم تكن في الغالب لصالح هؤلاء. وكانوا في أحسن الحالات يعامَلون **كأهل ذمة مقهورين**.

جميل القول أن «**المسيحي ذمّة في عنق المسلم**» ولكنه قول غير مقبول ولا يتفق مع كرامة الإنسان. «فالناس سواسية» وكلنا في ذمّة اللّه وحده، والإنجيل يعلّمنا أن لنا في السماء أباً واحداً وكلنا إخوة. كل هذه الرواسب التاريخية، بالإضافة في أيامنا إلى تصريحات وتصرفات جماعات من **المتطرفين المسلمين** ، تقابلها بالصمت جماعة الموصوفين بالاعتدال، وها هي **حملات التقتيل والتهجير المتوالية والتي لم يسبق مثيل لها في حجمها وهولها ـ والعالم واقف يندب سوء طالعنا! ـ ألا تشير هذه كلها إلى أن النية لا تزال معقودة على تهجير المسيحيين وتنفيذ القرار الذي قيل انه اتخذ في مؤتمر لاهور لإزالة الوجود المسيحي من الشرق، بدءاً بلبنان حجر الأساس؟**

الكل يأمل أن تؤدي الجهود التي يبذلها المسؤولون والفاعليات المخلصة وبخاصة الجهود التي يبذلها أساقفة الكنائس وأصحاب الضمائر الحيّة مسلمين ومسيحيين ـ يأمل أن تؤدي هذه الجهود **إلى تفشيل مؤامرة التهجير واصلاح ما أفسدت هذه الحرب.**

٣ ـ الإيمان ينفي الخوف

لكن مهمَا يكن من أمر هذه الجهود والمحاولات، ومهمَا عظمت الأخطار، بل كلَّمَا عظمت الأخطار واشتدّت الحال، فالمسيحي المؤمن لا يخاف على مصيره. الإيمان ينفي الخوف: «وحين تبدأ هذه الأمور تقع، تشجعوا وارفعوا الرأس، يقول السيد له المجد، فإن خلاصكم قرُبَ» (لوقا٢١:٢٨). وقد قال للتلاميذ عشية رحيله عن أرضنا: «سيكون لكم في العالم ضيق، لكن تقوّوا أنا غلبت العالم»

«إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنّه قد أبغضني قَبلكم» (يو١٥:١٨)

(يوحنا ١٦:٣٣). أجل، يجب اليوم أن نرفع رؤوسنا إلى فوق، من حيث يأتي خلاصنا، وإذا كان لا بدّ أن ننكسها، **فللتوبة** على رجاء الحياة والملكوت الآتي. **لقد خطئنا جميعاً، ونحن نحصد ما زرعنا**. وإذا كنا لم نخطأ لربما أكثر من غيرنا، «**فخطيئتنا أعظم**» لأن اللّه وضعنا وحفظنا على مرّ الأجيال في هذه البقعة من الشرق، لنؤدّي للمسيح «**شهادة حسنة**»، شهادة ليس لها بديل عنّا. فأهملنا دعوتنا وانحرفنا كثيراً عن رسالتنا، وزوَّرنا الشهادة في الكثير من تصرفاتنا مع غيرنا.

٤ ـ زمن النعمة

والآن، ترى هل أتت الساعة لنلقى جزاء ما فعلنا ؟ لا ، بل يخيّل إليّ، وأنا أؤمن ان قد «أتت الساعة التي فيها يتمجّد الله فينا» (يوحنا ١٣:٣١). يخيّل إليّ، بل أؤمن أن اللّه فرزنا وأعدّنا لهذه الساعة بكل ما عانينا من آلام وتحملنا من أهوال. وكأنه يريد من خلال ما عانينا وَتَحَمَّلنا أن يُفَهِّمنا مرة بعد اننا «وان كنا في العالم فلسنا، من العالم، ولذلك يبغضنا العالم» (يوحنا١٥:١٨). أجل، انه يريد أن يفهمنا ما فهمه المسيحيون الأولون، الذين كانوا يعتبرون، كما جاء في «**الرسالة إلى ديوجينس**»، ان «كل أرض غريبة وطن لنا، وكل وطن أرض غربة» ـ حتى اذا كان هذا الوطن لبناننا الجميل وشرقنا الأصيل! ـ « واننا في الجسد ولكننا لا نحيا حسب الجسد» ـ أصحيح اننا **لا نحيا حسب الجسد وشهواته؟** ـ واننا نصرف العمر على الأرض إلا أننا من مواطني السماء».

ويضيف صاحب الرسالة قوله عن المسيحيين الأولين: «انهم فقراء وبفقرهم يغنون الكثيرين. يفتقرون إلى كل شيء، وكل شيء فائض بين أيديهم... يعملون الصلاح ويعاقبون كالسفلَة وفي عقابهم يتهلّلون كأنهم يولدون للحياة. يُصلْيهم اليهود حرباً كغرباء وأعداء ويضطهدهم الرومان، وان سألَت مبغضيهم عن السبب فلا يعلمون...».

فبمثل هذه الروح وهذا الإيمان كان المسيحيون الأولون يؤدّون للمسيح شهادة الحياة، وهم متأهبون في كل ساعة للشهادة الكبرى له بالدم، الشهادة التي بها «غلبوا العالم» مع معلمهم الإلهي، وتغلّبوا على الامبراطورية الرومانية، فحوّلوها، بعد جهاد ثلاثة قرون بالدم، من امبراطورية تضطهد المسيح الى امبراطورية تَدين للمسيح.

٥ ـ الفارق الكبير

فهل يواجَه المسيحيون عندنا اليوم بمثل ما كان يواجَه المسيحيون الأولون **حملات التهجير والتقتيل ومحاولات الإبادة؟** أجل إنهم يواجهونها منذ أجيال بثبات وشجاعة وإيمان، مثل المسيحيين الأولين ، ـ كما يحدث في سوريا والعراق ـ مع فارق ـ وعظيم هذا الفارق ـ في التعبئة الروحية، وفي الأبعاد والأساليب.

فالمسيحيون عندنا قاموا مستخدمين شتى أساليب المقاومة، بما فيه القوة، دفاعاً عن رقعة أرض سعوا إلى تحريرها، ليمَارسوا فيها معتقداتهم ويقيموا فيها شعاراتهم الدينية بحريّة. وكان نطاق هذه الحرية يتسع قدر اتساع نطاق الرقعة المحررة. ولا شك انهم أدّوا للمسيح بثباتهم على الإيمان وصبرهم على المحن الشهادة الحسنة... وقد أثمر جهادهم نشوء وطن يمتاز دون سائر الأديان والانفتاح على القيم الروحية والإنسانية السامية. لكن ها هوذا الوطن محطُّ آمالهم، ومشتهى أجيالهم في خطر الزوال، وها هي الكنيسة التي تمخّضت بهذا الوطن وولدته بالأوجاع تتعرّض هي الأخرى لخطر الزوال معه. **فهل تزول الوالدة حقاً مع الوليد؟**

٦ ـ أحرار في كل الأحوال

لا شك أن كنيسة المسيح تحتاج إلى مناخ من الحرية لكيمَا تنمو وتترعرع وتؤدي للمسيح شهادتها وتقوم برسالتها: «اطلق شعبي، قال الرب لفرعون بفم موسى، لكي يعيّدوا لي في البرية». ولما عصى الملك خلّص الرب شعبه «**بيد قديرة**». وقادهم في البرية أربعين سنة إلى أرض ميعاد، أرادها لهم ملكوت روح وواحة حرية، فأبوا إلا أن يجعلوا منها مملكة كسائر الممالك.

قالوا لصموئيل: «يملك علينا ملك ونكون نحن أيضاً كسائر الشعوب» (١ملو١٨:١٩-٢٠). «فساء الأمر في عيني صموئيل إذ قالوا: "أعطنا ملكاً يملك علينا" ... فقال الرب لصموئيل: ... بل إياي رفضوا لكي لا أملك عليهم» (صموئيل الأول ٨:٦-٨). فساءت علاقة الشعب بربّه، وتعطّلت شهادته التي اختاره لها: «أنتم شهودي يقول الرب وأنا إلهكم... ولا مخلص لكم غيري» (اشعيا ٤٣:١٠).

هكذا إذا كان لا بدّ للكنيسة من بعض الحرية لكي تؤدي رسالتها ، فإن ارتباطها وارتهانها لنظام يحميها يسيء في الغالب إلى هذه الرسالة أكثر من الضيق الذي تعانيه من الأنظمة المعادية. بل ان حريتها في الاضطهاد تتبلور ورسالتها تتنقى من كل شائبة.

ولنا على ذلك دليل في «**كنيسة الصمت**» بالبلاد الشيوعية، روسيا حالياً التي تعرف اليوم، رغم أكثر من نصف قرن من الاضطهاد والتقتيل، نهضة روحية مدهشة. ﴿تعرّضت الكنيسة في روسيا للإضطهاد والتنكيل في فترة الحزب الشيوعي الحاكم حيث سقط هذا النظام سقطة مريعة، وهاذا هو المصير المحتوم للانظمة المضطهدة والغاشمة﴾

٧ ـ نحن والكنيسة الأولى

ولنا على ذلك أيضاً خير شاهد في الكنيسة الأولى التي عاشت، ونمت، وانتشرت، وأدّت رسالتها على أكمل وجه بالحرية والفرح، في وسط أتون الاضطهادات المضطرم وخرجت من هذا الصراع **منتصرة**.

فنتساءل بالمقابل: ترى لماذا لم تعرف كنيستنا الصامدة طوال أجيال مثل هذا الانتشار ولم تحرز مثل هذه الغلبة؟

لا شكّ في أن المسلم الذي تواجهه اليوم يختلف عن الوثني الذي واجهته الكنيسة في الأمس. فإلى جانب القوة والاعتزاز والاستعلاء بأمته. يجد في إسلامه ما يسدّ بعض حاجاته الدينية، فيستغني به عن أيّ دين سواه. هذا صحيح. وصحيح أيضاً أن المسلم لم يلتق عندنا بالمسيحي الذي التقى به الوثني بالأمس. فالفارق بين المَسيحي الذي يواجه المسلم عندنا وذلك الذي واجَهَ الوثني في البدء، قد لا يكون في أصالة الإيمان، وحسن التدين، مثله في النظرة إلى الكنيسة والرسالة المسيحية.

فمسيحي الكنيسة الأولى لم يكن همّه يقتصر على الثبات في الإيمان، ولا كان يفكّر **في الصمود خلف حصون محصنة، ولا في طلب ضمانات وحمايات خارجية**، بل كان همّه **أن ينشر الإنجيل ويشهد للمسيح القائم من الأموات في كل مكان**. لم يكن همّه في وطن يحرّره ويحصّنه ويحتمي فيه «**ليعيّد**» لربه بحرية. بل كان يمارس هذه الحرية في أتون الاضطهادات المضطرم. مهللاً بفرح الروح، كالفتية الثلاثة في الأتون الذي رماهم به نبوكدنصّر الملك.

دعوة يسوع كانت لا تزال ترنّ بأُذنه فيسمعه يقول لرسله ولتلاميذه: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦:١٥)، أجل لمثل هذه الرسالة أفرزهم وأطلقهم الرب، لا لبناء وطن يتحصّنون فيه. «فخرجوا وكرزوا في كل مكان والربّ يعمل معهم» (مر١٦:٢٠).

إن أحوَج ما نحتاج إليه اليوم هو هذه التعبئة الروحية، والنظرة الجريئة، والبعيدة المدى، الشاملة، في معنى وجودنا وغاية رسالتنا وإلاّ فعبثاً نتحصّن وراء أنظمة ونحتمي وراء ضمانات ونتطلع إلى حمايات. وعبثاً نسعى إلى تثبيت وجودنا على أرض نظنها ثابتة تحت أقدامنا، إذا لم نسمع دعوة المعلم إلى أن «ننتزح إلى العمق ونلقي شبكتنا للصيد».

ان خطر الأعماق الذي يحدق بنا ونحن مع المسيح، لهو آمن بكثير جداً من أكثر الشواطىء أماناً بعيداً عن المسيح ودعوته السماوية ! آمـــين... ■

«الصلاة في مزامير داود النبي»

كما شرحها القديس يوحنا الذهبي الفم

(الجزء الرابع والأخير)
من هذا البحث الآبائي

الصلاة الدائمة

يحثنا القديس يوحنا الذهبي الفم على الصلاة الدائمة، لأنه ما من شيء يؤدّي إلى الفضيلة مثل أن نتكلّم دائماً مع اللّه، وأن نقدّم له الشكر والعرفان مسبحين إياه دائما وباستمرار.

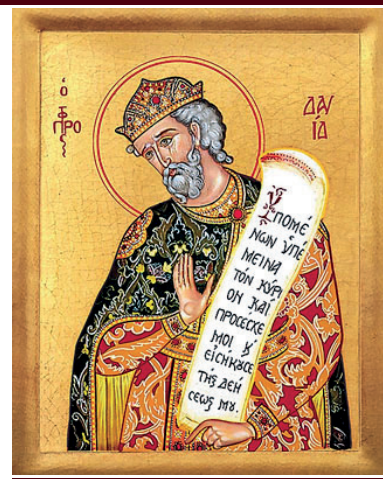

داود النبي والملك

وكان القديس يوحنا الذهبي الفم على مدى حياته كلها يشير إلى أن داود النبيّ مَجَّد اللّه بكلماته كما بأعماله. وينصح القديس يوحنا الذهبي الفم قُرَّائه، أنه في أوقات التجارب والمحَن والاضطهادات فلنفعل كما فعل داود ونُقَدِّم المجد للّه ولا نكُفَّ عنَ أن نباركه. وسواء كُنَّا شيوخاً أو شباباً، فيجب أن نقدِّم الشكر للّه. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم، فإن هذا هو غرض المزمور ١٤٨ أنه يُبَيّن لنا أنه لابدّ أن نُسَبّح الربّ على كل شيء، بصرف النظر عمَّن نكون نحنُ. كما يجب أيضاً أن نثابر في صلواتنا وتوسُّلاتنا ولا نيأس إذا لم تُستَجَبْ في الحال.

صلاة التوبة:

أما صلاة التوبة فهي نوع آخر من الصلاة التي تتطلَّب الدوام فيها والمثابرة. فحينما يشرح المزمور السادس «أحمّ كل ليلة سريري ، وبدموعي أبل فراشي» (مز٦:٦). يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن المرنم هنا كان يقضي كل حياته في دموع التوبة. وهذا مَثَلٌ لنا في كيف يجب أن نتصرف حينما نخطىء ؛ أن نفصل أنفسنا عن كل ما يخطىء، ونصلِّي إلى اللّه بدموع كل ليلة فوق سرير نومنا. إن القديس يوحنا الذهبي الفم يرى في المزامير نموذجاً لنا في الصلاة الدائمة. ففي كل ظرف من ظروف الحياة يلتفت المرنِّم إلى اللّه بالصلاة. وحينما نثابر في الصلاة فسوف ننال ما نسأل من أجله، إن كان نافعاً لنا.

نسأل ما هو نافع حقّاً، وليس الأمور الأرضيّة:

أن نطلب ما هو نافعٌ، معناه أن لا نطلب الأمور الأرضية ، بل نطلب ما هو حقّاً نافعٌ لنا، هكذا يعلن القديس يوحنا الذهبي الفم. وصلاة المزمور ١٤٠ (الترجمة السبعينية) هي هذه الصلاة بعينها، ويشير القديس يوحنا الذهبي الفم أن داود في هذا المزمور لا يسأل شيئاً ضد أعدائه، ولا يسأل غنَىً ولا ازدياداً ولا قوّةً ولا مجداً ولا سائر الأشياء الزائلة، بل فقط الباقيات والخالدات.

ويأخذ القديس يوحنا الذهبي الفم سليمان الملك كنموذج آخر لمن استُجيبت صلاته، لأنه سأل الروحيات. فقد سأل سليمان الذهن الفهيم ليحكم به شعبه (٣ ملوك ٣ في السبعينية، وهي تساوي ١ ملوك ٣ في الترجمة المتداولة) وقد كافأه اللّه على صلاته الروحية هذه، فأعطاه حتى ما لم يسأله. فقد نال ليس فقط الحكمة العالية، بل وأيضاً غِنَى وكرامة عظيمتين.

وكما يشرح القديس يوحنا الذهبي الفم، فإن المرنِّم حينما يُصلِّي: «يا ربّ اهدني بعدلك» (مز٥:٩)، فإنّ هذا السؤال ليس من أجل أشياء فانية وعابرة في هذه الحياة، بل من أجل التعضيد من العُلا. لأننا ونحن في هذه الحياة، التي هي كمثل طريق، نحتاج الى اللّه هادياً لنا ليمسكنا بيده ويُرينا الطريق. ويؤكّد القديس يوحنا الذهبي الفم على أنه من الضروري أن نطلب معونة اللّه إن كنا نريد أن ينجح جهادنا.

يقول المرنّم «علّمني أن أعمل هواك (مشيئتك). لأنك أنت هو إلهي» (مز ١٤٢:١٠)، فكل صلواته كانت روحية؛ إذ لم يسأل مالاً ولا قوّة ولا مجداً، بل أن يصنع مشيئة اللّه.

وأيضاً في مزمور ١٤٣ ، يشرح القديس يوحنا الذهبي الفم، أن المرنم يزدري بكل متاع الدنيا ويُعلن: «طوبى للشعب الذي الربّ إلهه» (مز١٤٣:١٥). أما الشهوات الخاطئة، والجنوح نحو أمور هذه الحياة والتعلّق بالأرض، فإنها تُضعف القلب. الفضيلة هي الشيء الوحيد الجدير باقتنائها في هذه الحياة. هذه هي الأشياء التي علينا أن نسألها في الصلاة ، حسب القديس يوحنا الذهبي الفم.

ويقدّم القديس يوحنا الذهبي الفم توسّعاً في شرح هذه النقطة، وهو يشرح المزمور السابع، حيث يقول النبي: «اللّه قاض عدلٌ» (مز ٧:١١). ويشرح الذهبي الفم ذلك: هذا يعني «فليتعاملَ اللّه معي بطريقة بارّة (عادلة) لأني لم أسأل شيئاً غير عادل». فإن كنا نريد أن نتمتّع بالتعضيد من فوق، فلنسأل فقط ما هو متوافق مع العدل، وذلك حتى من طبيعة هذا التوسُّل نتأكّد من المعونة الآتية من «الذي يخلّص المستقيمين بالقلب» (مز٧:١٠). لكن صلاتك لن تكون بارّة إن سألتَ غنَى أو جَمالاً أو أي نعمة أخرى عابرة تتصل بهذه الحياة الحاضرة.

وحتى إذا كان المصلِّي باراً ، فقد لا تكون صلاته مستجابة إذا لم تكن من أجل شيء نافع. هكذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم في شرحه للمزمور السابع.

لأنه مَن كان أكثر براً من القديس بولس؟ ولكن لأنه سأل شيئاً ليس نافعاً، فلم يُستَجَبْ له. حيث يقول القديس بولس: «من جهة هذا تضرَّعتُ إلى الربّ ثلاث مرات أن يُفارقني. فقال لي: تكفيك نعمتي، لأن قوتي في الضعف تُكمَلُ» (٢كو١٢:٨-٩). وأيضاً مَن

كان أكثر براً من موسى النبي؟ وهذا أيضاً لم يُسمَع له، حيث قال اللّه له: «كفاك، لا تَعُدْ تُكَلِّمني أيضاً في هذا الأمر» (تث٣:٢٦). لأنه كان يسأل اللّه أن يدخل إلى أرض الموعد، وكان هذا الطَلَب غير نافع له ، فلم يسمح اللّه بذلك ﴿.

ملاحظات ختاميّة:

إن القديس يوحنا الذهبي الفم في كتابه شرح المزامير، يتفوَّق في عظاته الرعوية المشهور بها جداً. وإن الشروط الستة لاستجابة اللّه للصلاة كما يعدِّدها في «شرح مزمور ٧» تحيط بكل نواحي الحياة اليومية. فالشخص المصلِّي قد يكون مستحقاً لنوال إجابة صلاته فقط حينما يعيش الحياة الصالحة التَقَويَّة. ويحث القديس يوحنا الذهبي الفم متواتراً قارئه لسلوك هذه الحياة، بحيث إن كل شيء يقوله الذهبي الفم يهدف من ورائه أن يجذب الإنسان ليكون أكثر التصاقاً باللّه وأكثر بُعداً عن الخطية.

ولأن نوعية حياة الإنسان تؤثّر مباشرة في فاعلية صلاته، فإن كل عظات القديس يوحنا الذهبي الفم تتصل بالصلاة. لكن هذه الملاحظات التي تعقد رباطاً بين الإثنين: **الحياة والصلاة**، تعتبر بمثابة «**خريطة طريق**» للإنسان المصلِّي، وهذا هو ما تُلقي عليه الضوء هذه الدراسة التي نقدِّمها.

وبنفس الطريقة، فإن الصلاة في توافقها مع شرائع اللّه، والصلاة الدائمة، وعدم سؤال الأشياء الأرضية ؛ بل سؤال الأشياء التي هي حقاً نافعة لنا، هي توجيهات يحاول القديس يوحنا الذهبي الفم أن يدفع القارىء إلى سلوك الطريق الصحيح نحو اللّه، وحينما نوفي كل هذه الشروط، فإننا حينئذ فقط نكون قد اشتركنا بكل ما في مقدورنا عمله.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إن غاية كل مجهوداتنا الدائمة، يجب أن تكون ليس فقط أن نصلي، بل أن نصلي ونحن في الحالة التي فيها تُستجاب صلواتنا. ثم يواصل الذهبي الفم توضيحه، أن الصلاة وحدها ليست كافية لننال ما نسأل من أجله، إن لم نضع في اعتبارنا هذه الشروط التي تجعل صلاتنا مقبولة لدى اللّه. فالفرِّيسي صلَّى، لكن صلاته لم تنفعه شيئاً. واليهود كانوا يصلُّون، لكن اللّه انصرف عن صلواتهم لأنهم لم يصلُّوا بالشروط المطلوبة. لهذا يوصينا اللّه أن نقدِّم له صلاتنا في الوضع الذي يجعلها مسموعة. وهذا هو ما علَّمنا إيَّاه داود النبي في مزمور ٦، والمزمور السادس ليس وحده الموضع حيث يعلِّمنا داود عن الصلاة لكي تكون مستجابة. ففي كل المزامير ـ كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم ـ كان داود يحثنا على معرفة اللّه وسلوك الحياة المقدسة. إنه يتولَّى دور المعلِّم كما يتولَّى دور النبي كذلك، حيث يمزج المشورة بالصلاة أحياناً، وأحياناً يمزج التشجيع بها.

وفي مزمور ١٤٨ يُظهر لنا داود أنه لا يكفي أن نرتل بالتسبيح للّه بأنفسنا فقط، بل وبكل الخليقة التي يجب أن تشترك في تسبيحات الأتقياء: «سبحيه أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا كل النجوم والنور» (مز١٤٨:٣).

وفي شروحات الذهبي الفم على المزامير التي هي حقّاً صلاة داود، فإن هذه الشروحات تُقدِّم ليس فقط حثّاً وإرشاداً على الصلاة، بل هي أيضاً عمل جوهري على ربط الصلاة بشخص النبي داود وبتعاليم القديس بولس الرسول. إن هذه الدراسة بما فيها من معلومات ليتها تكون نافعة لطالبي الصلاة والحياة الروحية، وكذلك لطالبي دراسة التعليم الآبائي الكنسي، وعِلم التفسير.

وفي دراسة عن العهد القديم يقول الكاتب: «هناك أسفار قليلة في العهد القديم قُرِئَت أكثر من المزامير، إما لأنها جزء من الليتورجية، وإما من خلال الدراسة الشخصية، وقد بَدَت أنها مُحببة إلى قلوب المؤمنين». وإني أعتقد أن هذا المستوى الذي بلغ إليه نبوغ القديس يوحنا الذهبي الفم بأكثر وفرة، إذ حيث لَمَسَت شروحات الذهبي الفم «القلب البشري، ودوافعه، وضعفه، أو بشَّرت بنعمة ومحبة يسوع المسيح، فهنا يرتفع الذهبي الفم ويدوم ليصير بحق "**معلّماً في إسرائيل**"».

وكما وتلمس المزامير نفسها قلب الإنسان، هكذا أيضاً فعلت شروحات القديس يوحنا الذهبي الفم على المزامير.

من هي الكنيسة ؟

للأب متى المسكين

لتثبيت المؤمنين الذين يعانون من الإضطهاد والقتل والتهجير

+ الكنيسة شخصية حيَّة جامعة، قوامها جسد المسيح السرِّي، وأعضاؤها هم المؤمنون بالروح والحق. وهي تنمو باستمرار نحو غاية مرسومة لها قبل الدهور. وتتحرَّك بلا توقّف ولا نكوص. ماضيها حيٌّ، ومستقبلها حاضرٌ دائماً. فالزمن يتحوَّل فيها إلى حكمة، والألم إلى شهادة، والضيق إلى إيمان. الآلام في الكنيسة ليست غريبة عن طبيعتها، ولا هي تُعتَبَر كعمل ثانوي لها ؛ لأن المسيح لم يوضع عليه الألم كعمل إضافي، بل كان الألم غاية التجسُّدَ والكنيسة هي جسد المسيح.

+ والمؤمنون المتحدون في جسمها يظلُّون أحياءً فيها لا يفصلهم الموت عنها، لأن جسمها هو المسيح. فالذين عاشوا في الدهور السالفة، إلى الآن يعيشون فيها، ومعنا يعملون، في وحدة الأسرار، وفي وحدة الصلاة والشفاعة المتبادلة!!

العظات الثمانية عشر لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرلّس رئيس أساقفة أورشليم

العظة العاشرة في العماد

«... وبربٍّ واحد يسوع المسيح»

«هناك كثير من الآلهة وكثير من الأرباب
وأما عندنا نحن، فليس إلا إله واحد
وهو الآب، منه كل شيء وإليه نحن
راجعون، وربٌّ واحد وهو يسوع المسيح
به كان كل شيء وبه نحن قائمون»
(١كور٨:٥-٦)

لأنكم لو كنتم تُصدّقون موسى لكنتم تُصدقونني، لأنه هو كتب عني. (يوحنا ٥:٤٦)

٥ ـ المسيح ربّ حقاً

وعليه ، تختلف نظرة كل واحد الى المخلّص باختلاف حاجته إليه: فهو «الكرمة» لمن هم في حاجة الى فرح، (يو ١:٥)، و«الباب» لمن هم في حاجة الى الدخول، (يو١٠:٧)، و «عظيم الأحبار الوسيط» (عب ٧:٢٦ ، ١ تيمو ٢:٥) لمن هم في حاجة الى تقديم صلوات. وللخطأة فهو «النعجة» التي تُذبَح لأجلهم. يصير كلاً للكل (١كور٩:٢٢) مع كونه لا يزال باقياً كما هو بحسب طبيعته. وهو، إذ يبقى كما هو محتفظاً بكرامة نبوّته بلا تغيير، يسعى كطبيب ماهر ومعلّم رؤوف الى نجدتنا في أسقامنا. وبما أنه ربّ حقّاً، لم يتلقَّ الربوبية تدريجياً، بل كانت له بطبيعته. وهو لا يُدعى «ربّاً» على سبيل المغالاة كما نفعل نحن، ولكنه ربّ حقاً، إذ انه بإرادة أبيه يدبّر أعماله الخاصّة. نحن نبسط سلطاننا على أناس مساوين لنا في الكرامة والطبيعة، وأحياناً على أناس أنبل منا، ويحدث أحياناً أن يتسلّط سيّدٌ شاب على خدَم مسنين. أما الربوبية لدى سيدنا يسوع المسيح فليست هكذا ؛ إنه أولاً خالق ثمّ ربّ: لقد خلق أولاً كل شيء بإرادة الآب، ثم أخذ يدبّر أولئك الذين خلقهم.

٦ ـ المسيح في العهد القديم: في سفر التكوين ...

فالمسيح الرب هو الذي وُلد في مدينة داود (لو٢:١١). هل تريد أن تعرف كيف كان المسيح الرب مع الآب قبل أن يتأنس، حتى لا تسلّم بالذي يُقال لك بدافع الإيمان فقط، بل على أساس البراهين المستقاة من العهد القديم ؟ خذ السفر الأول، سفر التكوين. قال اللّه: «لنصنع الإنسان» لا على صورتي، بل «على صورتنا» (تك١:٢٦). وبعدما خُلقَ آدم ، يقول: «فخلقَ اللّه الإنسان على صورته، على صورة اَللّه خلقه» (تك١:٢٧). إنه لم يُقصر على الآب وحده كرامة الألوهية، بل شمل الابن أيضاً، ليُظهر أنّ الانسان ليس من صنع الآب وحده ، بل كذلك من صنع ربّنا يسوع المسيح الذي هو إله حقّ. وهذا الرب نفسه الذي يتعاون مع الآب تعاون معه في دمار سدوم ، كما يؤكد ذلك الكتاب المقدس: «وأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند ربّ السماء»(تك ١٩ :٢٤). وهذا الرب نفسه هو الذي رآه موسى فيما مضى بالقدر الذي كان يمكنه أن يراه (خر٣:٢ ، ٣٤:٥–٦) ، لأن الرب صالح، وهو يأتي الى نجدتنا في أسقامنا.

٧ ـ ...في سفر الخروج ...

ولكي تعلم أنه هو الذي ظهر لموسى، فإليك شهادة بولس: «كان آباؤنا يشربون من صخرة روحية تتبعهم، وهذه الصخرة كانت المسيح» (١كور١٠:٤). وأيضاً: « بالإيمان ترك موسى مصر» (عب ١١:٢٦). وكان قد قال قبل ذلك: «وعدّ عار المسيح أغنى من كنوز مصر» (عب ١١:٢٥). وكان موسى هذا قد قال للرب: «أرني وجهك» (خر٣٣:١٣). ترى أن الأنبياء كانوا عندئذ يرون وجه المسيح ، ولكن كلّ بحسب طاقته: «أرني ذاتك حتى أعرفك» (خر٣٣:١٣). فأجابه الرب: «لا يراني إنسان ويعيش» (خر ٣٣:٢٠). وبما أنه لا يستطيع أيُّ كائن حيّ أن يرى وجه الألوهية، أخذ الرب وجه إنسان، حتى اذا رأيناه نعيش. وعندما أراد أن يُظهر هذا الوجه نفسه بشيء من الكرامة، «أشعَّ وجهه كالشمس» (متى ١٧:٢)، «وأكبَّ التلاميذ لوجوههم وقد استولى عليهم خوف شديد» (متى ١٧:٦). فإن كان هو ، عندما أضاء وجه جسده لا بقدر ما يستطاع، بل بقدر طاقة تلاميذه، قد أرعبهم الى حدّ أنهم لا يتمكّنوا من تحمّله ، فكيف يقدر أحد أن يتطلّع الى كرامة ألوهيته ؟ قال الرب لموسى: «إنك ترغب شيئاً عظيماً، وهذا الذي سألته أفعله» (خر ٣٣:١٧) ، ولكن بقدر ما يمكنك أن تتحمل «ها أني أجعلك في نقرة الصخرة» (خر٣٣:٢٢) ؛ وبما أنك صغير، فستمكث في مكان صغير.

٧ ـ سفر الخروج (تابع)

إحفظ هكذا ما قيل بسبب اليهود ، لقد كان غرضنا أن نبرهن على أن الرب يسوع المسيح كان لدى الآب. قال الرب إذن لموسى: «أنا أجيز جميع جودتي أمامك وأنادي باسم الرب قدّامك» (خر ٣٣:١٩). بما أنه الربّ ، فأي رب ينادي ؟ ترى ، انه يعلّم بطريقة خفية العقيدة الخاصة بالآب وبالإبن.

وبعد هذه الكلمات نقرأ: «فهبط الرب في الغمام، ووقف عنده هناك، ونادى باسم الرب. ومرّ الرب قدّامه ونادى: الرب ربّ رحيم رؤوف ، طويل الأناة كثير المراحم والوفاء ، يحفظ الرحمة لألوف، ويغفر الذنب والمعصية والخطيئة» (خر٣٤:٥–٨).

فأسرع موسى وخرّ الى الأرض ساجداً أمام الرب الذي نادى الآب ، وقال: « يا ربّ، سِرْ معنا» (خر٣٤:٨–٩). ■

التوبة

للقديس
يوحنا الذهبي الفم

... أأنتم خطأة ؟ لا تيأسوا !

فأنا أصرُّ على أن أقدِّم لكم الرجاء كدواء وكأفضل علاج لضعفكم، لأني أعرف إلى أيٍّ مدى يمكن للثقة المستمرة والرجاء في اللّه أن تكون سلاحاً فعَّالاً مقابل الشيطان.

لن أكفَّ عن أن أُكرِّر لكم إذا أخطأتم لا تسقطوا في اليأس. إنْ أخطأتم كل يوم، فتوبوا كل يوم !

أسألكم سؤالاً فقولوا لي: ماذا نفعل عندما تتهدم مبانينا القديمة ؟ ألا نضع جانباً الأشياء المتهدِّمة لنُقيم بدلاً منها الجديد؟ ولا ندَّخر الجهد في بذل كل اهتمامنا لهذا التعمير.

فليكن لنا مثل هذا بالنسبة لأنفسنا، فإن خضعتم للخطية، فجدِّدوا أنفسكم بالتوبة.

ستقول لي: كل حياتي وأنا واقع تحت سطوة الخطية؛ وأنتَ تقول لي الآن: إذا انتَ قدَّمتَ توبة، فستجد الخلاص والعِتْق !

ـ نعم بكل تأكيد.

وإذا سألتني: من أينَ لكَ هذه الثقة؟

ـ أقول لكم من مراحم اللّه تجاه البَشر.

لا تفكّروا أنني أبني ثقتي هذه فقط على توبتكم، لأنني أعرف أنها لا تَقْوَى على طَرد كل الشرور من القلب.

إذا كانت لا توجد غير التوبة فقط لكان يحقُّ لكم أن تكونوا قلقين! أما إذا كان صلاح اللّه هو أساس اعتمادنا، فيجب أن تثقوا.

فمراحم اللّه نحونا لا نهائية، بل أقول أيضاً إنها تفوق كل تعبير.

إنّ ضعفاتكم محدودة، أما علاجها فليس له حدود؛ حتى وإن كانت أخطاؤكم لا تُحصَى، وهي لا تُقاس إزاء صلاح اللّه اللانهائي.

فليكن لكم ثقة في اللّه، لأن التوبة ستنتصر على رذائلكم. تخيّلوا شُعلة سقطت في البحر، هل يمكنها بعد ذلك أن تظل مشتعلة؟

إنّ خطاياكم ستتلاشى عندما تتلامس مع صلاح اللّه مثل إنطفاء الشعلة إذا لامست الماء ؛ بل إن المحيط رغم اتساعه فهو له حدود، أمّا المراحم الإلهيّة فهي غير محدودة.

«حاسب نفسك لكي تتبرّر» ، يا للصلاح الإلهي!

إنّ الرب لم يَقُل: « **... لكي تهربوا من العقوبة»** ، ولكن قال: **«...لكي تتبرّر»**.

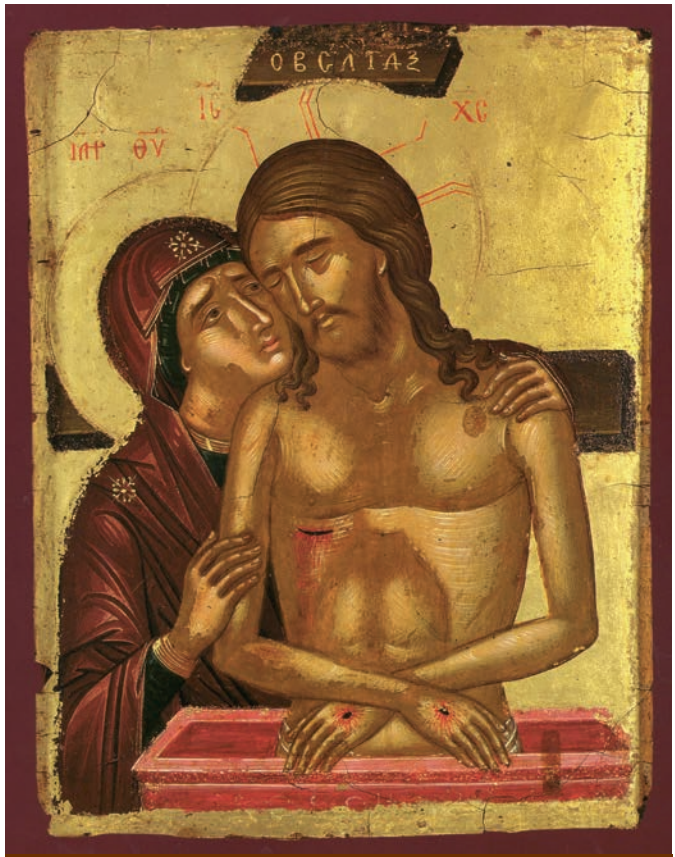

لا تنوحي عَلَيَّ يا أمّي، فإنّي أتيت لأجد الدرهم المفقود، واحمل الخروف الضّال إلى حظيرة الخلاص الأبدي.

أمَـا كان يكفي أن لا تُعاقبه حتى أنك تُبَرِّره أيضاً بالتأكيد. لكن اسمعوا بالأوْلى: أين نجد مثالاً لمثل هذا التبرير؟

بالنسبة للص اليمين: لقد صار كافياً له أن يقول لرفيقه: «ألا تخاف اللّه ؟ أمَّـا نحنُ فبعدل جوزينا لأننا ننال استحقاق ما فعلناه» ؛ لكي يسمع هذه الكلمات من يسوع: «اليوم تكون معي في الفردوس» (لو٢٣:٤١). إنه لم يَعِدْه بأن يُجنِّبه كل ملامة وكل عقاب؛ بل دفعة واحدة، اقتاده مبرَّراً إلَى الفردوس.

الإعتراف المقدس:

هل لاحظتم أن اللص قد تبرَّر بفضل اعترافه عن خطاياه؟ إنّ الإحسان الإلهي نحو البشر أعظم جداً. إنه لم يُشفق على ابنه الخاص لكي يُشفق على العبد. لقد سلَّم ابنه الوحيد لكي يفتدي العبيد الجاحدين، وسَفَكَ دمه كثمن لهم.

يا للإحسان الإلهي ! أرجوكم لا تعودوا تحتجُّون بقولكم: لقد أخطأتُ كثيراً فكيف يمكن أن أخلُص ؟

لأن ما لا تستطيعون أن تعملوه، فاللّه يستطيع، وقدرته قادرة حتى إلى محو كل خطاياكم.

إنتبهوا لمَا سأقوله: اللّه يمحو خطاياكم بحيث إنه لا يعود يتبقَّى لها أيَ أثر.

مثل هذه الأعجوبة لا توجد في الطبيعة؛ فالطبيب يستطيع أن يُظهر كل مهاراته وحَذَقه لكي يُعالج جرحاً، ومع ذلك لن يصل لمحوَ كل أثَر لذلك الجرح.

اللّه أب:

اللّه أب ممتلىء حناناً، وهو الصالح وحده، وأحشاؤه تتحرَّك أكثر من أي أب.

فلكي تفهموا حسناً أنه يتصرف كأب، فقد وضع هذا السؤال لأولاده:

ـ ماذا سأفعل يا يهوذا ؟

ـ ألا تعرف ماذا ستفعل يا رب؟

ـ نعم أنا أعرف، لكن لا أستطيع أن أعمد إلى هذا! فثقل الخطايا يتطلَّب عقوبة لا تتفق مع عِظَم إحساني تجاه البَشَر.

ـ فماذا سأفعل، إذن؟ هل يجب أن أُسامحكم؟ لكن هذا سيزيد عدم اكتراثكم!

ـ هل يجب أن أُلاحقكم بغضبي؟

ـ صلاحي يمنعني!

ـ فما العمل؟ هل أعاملكم كسدوم؟ هل أفنيكم كعمورة؟ ينقلب عَلَيَّ قلبي! (مستوحاة من نبوّة هوشع النبي).

مع أنّ اللّه فوق الأحاسيس البشريّة إلاَّ أنه يستعير هنا أحاسيس الإنسان ويُظهِر حناناً يفوق حنان الأم: «قلبي انقلب عَلَيَّ».

فالأم لا تتكلَّم بغير هذا عن طفلها. لكن اللّه لم يقنع بأن يذكر انقلاب قلبه اللائق بالأمومة، بل يُضيف أيضاً: «قد انقلب عليَّ قلبي. اضطرمت مراحمي جميعاً» (هوشع١١:٨).

هل اضطرب اللّه حقّاً ؟ لا، فاللاهوت فوق هذه الإنفعالات، ولكن ـ كما قلتُ ـ إنه يستعير لغتنا:

ـ «لقد انقلب عَلَيَّ قلبي، فاغتسلوا وَتَنقَّوا! لنعُد إلى وعدي».

لقد أكَّدتُ لكم أنّ اللّه يشفي الخطاة، البَشر المحمَّلين بخطايا لا تُعَدُّ والشبيهة بالقروح. بمجرد أن يتوبوا لا يبقى هناك أيُّ أثر أو ندبة أو علامة تدلُّ على موضع الجرح: «اغتسلوا، تنقَّوا، اعزلوا شرَّ أفعالكم من أمام عينيَّ ... تعلَّموا فِعل الخير» (إش ١:١٦ـ١٧).

ماذا تعني بـ «**فعل الخير**» ؟

«اطلبوا الحقَّ، انصفوا المظلوم، اقضُوا لليتيم، حامُوا عن الأرملة» (اش ١:١٧).

هذه التوصيات ليس فيها أي تثقيل، هي تبدو متوافقة مع الطبيعة، لأن هذه الحالات تُثير الشفقة حقّاً.

ابذلوا الجهد:

يقول الرب: «هلمَّ نتحاجج» (إش١:١٨)، ابذلوا بعض الجهد من جانبكم وأنا سأُرتِّب الباقي. أعطوني حتى ولو شيئاً قليلاً وأنا سأمنحكم الكثير.

هلمَّ إذن! لكن إلى أين؟ هلموا إليَّ أنا الذي أسخطتموني وضايقتموني. إليَّ أنا الذي قلتُ لكم إنني لا أسمعكم، راجياً بذلك أنّ الخوف المتولِّد من التهديد يقتادكم لتبديد غضبي.

إذهبوا لِمَنْ لا يسمعكم لكي يسمعكم؛ ولكن ماذا ستفعل؟

لن أترك فيكم أي أثر أو ندبة أو علامة على جرح قديم: «هلمَّ نتحاجج، يقول الرب، إن كانت خطاياكم كالقرمز تَبْيَضُّ كالثلج» (إش ١:١٨).

أهكذا بلا ندبة؟ بلا غَضْن، أمع هذا البهاء من النقاوة؟! «إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيضُّ كالثلج».

أأنقياء بدون أيِّ دنس ؟! كيف سيصير هذا؟ إنها كلمات الرب نفسه: هل وعدتكم بخلاف هذا؟

هكذا استطعتم أن تُدركوا عظمة مواعيد اللّه من جهة؛ ومن جهة أخرى، كمال اللّه الذي يُسبغه علينا. كل شيء مستطاع عند اللّه، إنه قادر على تطهير الإنسان حتى ولو كان كله نجاسة.

فلنتقوَّى بهذه التعاليم ونزداد نضوجاً بمعرفة هذا الدواء، **أعني التوبة**.

ولنُقَدِّم له السجود اللائق، لأن له القوة والمجد إلى دهر الدهور، آمين.

أطاع حتى الموت موت الصليب
من أجل محبته العظمى لجنس البشر.

وَوَرد في التراث، عن القديس كاربوس الرسول، وهو أحد السبعين، ويُعَيَّد له في ٢٦ أيار، أنَّ صَبره، مَرَّة، نَفَذ، فشَرعَ يسأل اللّه في موت رَجُلَيْن خاطئَيْن. أحَد هَذَيْن كان وثنيّاً والآخر كافراً ارتَدَّ عن الإيمان. فظهر له الربّ وقال له:«هاءنذا مستعدٌّ لأن أُصلَب ثانية من أجل خلاص البشر».

الدين : عند الشاعر النصراني عدي بن زيد العبادي

نُرَقِّعُ دُنيانا بتمزيقِ ديننا

فلا دينُنَا يبقى ولا ما نُرَقِّعُ

السلام هو عطية المسيح الأولى

للقديس الشهيد كبريانوس أسقف قرطاجنة (٢٠٥-٢٥٨م)

إذا أردنا أن يستجيب اللّه لصلواتنا، فلنحيا في السلام الحقيقي

نقرأ في الإنجيل، أيها الأخوة الأحباء، أنَّ ربنا ومخلصنا يسوع المسيح عندما حان وقت آلامه، بدأ يُعلِن لتلاميذه عن انطلاقه من هذا العالم إلى الآب.

وخلال أحاديثه لرفقائه المحبوبين التي قدَّمها لهم كجزء أساسي من ذكراه ؛ استودعهم ـ كعطية خاصة ـ بركة الوحدة والسلام قائلاً: «سلاماً أترك لكم ، سلامي أعطيكم» (يو١٤:٢٧)، كما لو كان يريد أن يقول لهم : «في سلام أترككم، وفي سلام سوف أجدكم». فإنه إذ كان منطلقاً بعيداً عنهم، رغب في أن يمنحهم شيئاً كان يودُّ أن يكون في كل البشر عند عودته، إلى خاصته ترك هذا الميراث، وأخبرهم عن كل الأمور الصالحة الخاصة بوعده (ومن بينها) مُجازاة حفظ السلام.

فلهذا، يا إخوتي، إذ كنا نرغب في أن نكون وارثين للمسيح فعلينا أن نصون سلامه فينا وندوم فيه. المسيح أعطانا السلام كما قد سمعتم توّاً، وأوصانا أن نكون في سلام وذوي فكر واحد مع بعضنا البعض. لقد وضع علينا أن نحفظ روابط السلام والمحبة، غير منفصمة أو منثلمة.

وفي مكان آخر (من الإنجيل) يُعلن الرب لنا عن مُجازاة السلام حيث يقول: «طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء اللّه يُدْعَوْن» (مت ٥:٩).

وإذ بدأ الإنسان في أن يكون ابناً للّه، فقد بدأ أيضاً أن يكون صانع سلام، (والعكس صحيح): يرفض أن يكون إبناً للّه مَن يأبى أن يقبل السلام. ومَن يستهن بأن يكون صانع سلام، فهو بالتالي يحرم نفسه من أن يكون اللّه أباً له.

فأبناء اللّه ينبغي أن يكونوا صانعي سلام، ذوي قلب شفوق، بسطاء في الكلام، متحدين في سلام المحبة، مترابطين ارتباطاً وثيقاً ببعضهم البعض برُبُط المودَّة الأخوية.

ينبغي أن نكون دائماً في سلام مع الصالح ومع الطالح، حتى ولو أوقف نفسه خصماً لنا، لأنه لا ينبغي أن نكره إنساناً أيّاً كان، بل أن نُبغض الشرّ. لأن الناس حتى ولو كانوا أشراراً ينبغي أن يظلوا محبوبين منا، لأنهم خلائق اللّه. فالسلام الحقيقي إذا وُجد يربط الإخوة معاً برباط السلام ويفيض أيضاً فيهم الحب لكل إنسان من حولهم.

السلام يجعل روح اللّه يأتي إلينا بصفة خاصة. السلام هو والد الحب الحقيقي. السلام هو علامة القداسة. ويقول الرب عنه بفم نبيّه: «أحبوا الحق والسلام» (زك ٨:١٩). السلام هو شفاء للناس، ومجد للكهنوت، وفرح للأمة، ورعب للأعداء المنظورين وغير المنظورين. كل إنسان يجب أن يكون حريصاً على السلام أيها الأخوة ؛ يحيا دائماً في اللّه مَن يحيا في سلام مقدّس، ويُشارك القديسين في رِفقة اللّه.

خدمة الكاهن:

بدون سلام، لا صلاة ولا تقدمة تكون مقبولة. إنه واجب الكاهن أن يُعلِّم الشعب أنهم ينبغي أن يعيشوا في سلام. وعلى الشعب أن يسمع ويطيع ما يجب على الكاهن أن يُعلِّمهم إيَّاه. إنه من واجب الراعي أن يمنع ما هو غير لائق، وواجب الشعب أن يتلقَّن هذا التعليم ويتبعه. وعلى كل من الكهنة والشعب في كل الحالات أن يحفظوا رباط الوحدة في الإيمان والمحبة، لأنه بدون السلام لا صلاة الكاهن ولا تقدمة المؤمن تكون مقبولة لدى اللّه.

لذلك إذا أردنا أن يستجيب اللّه سريعاً لصلواتنا، فعلينا أن نحيا في سلام حقيقي: «فإن قدّمتَ قربانك إلى المذبح، وهناك تذكَّرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدّام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذ تعالَ وقدِّم قربانك» (مت ٥ :٢٣-٢٤).

اللّه يريدنا أن نحيا في سلام وفي فكر واحد تجاه بعضنا البعض. وقد أبان مخلِّصنا لنا ذلك عندما كان يتكلّم في الإنجيل ويقول للآب السماوي: «أيها الآب القدوس، احفظهم في اسمك الذين أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن» (يو١٧:١١). ومن أجل هذا يحث الرسول المؤمنين قائلاً لهم: «أطلب إليكم أيها الأخوة، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تقولوا جميعكم قولاً واحداً ... كونوا كاملين في فكر واحد» (١كو١:١٠)، وأيضاً: «لا يَكُن خصام ولا حسد» (رو١٣:١٣)، «ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف، مع كل خبث» (أف٤:٣١). وفي مكان آخر يقول: «محتملين بعضكم بعضاً في المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسدٌ واحد، وروحٌ واحدٌ، كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد» (أف٤:٢-٤).

وفي مكان آخر نقرأ: «كلّهم كانوا يواظبون بنفسٍ واحدة على الصلاة والطِّلبة، مع النساء ومريم أم يسوع، ومع إخوته» (أع ١:١٤). ولذلك سُمِعَت صلواتهم لأنهم قدروا أن يطلبوا بثقة أي شيءٍ أرادوه من سخاء اللّه.

تضاؤل المحبة يوازي هبوط الإيمان:

وحدة القلب تتناقص كلما هبط سخاؤنا في الأعمال الصالحة. فالمسيحيون الأوائل باعوا بيوتهم وأراضيهم حتى يكنزوا لهم كنوزاً في السماء، ثم أعطوا أثمانها التي حصَّلوها للرسل من أجل حاجة الفقراء (أع٢:٤٥).

ولكن الآن نحن لا نعطي حتى ولا العشور مما نملك. وبينما الرب قد أوصانا أن نبيع، نجد أننا نشتري ونزيد على مقتنياتنا. لذلك هبطت قوة الأمانة للّه فينا والقدرة على الإيمان قد قلَّت. ومن أجل ذلك، إذ يسبق الرب ويرى أيامنا هذه نُصب عينيه، يقول في الإنجيل: «ابن الإنسان عندما يجيء أتظنون أنه سيجد الإيمان على الأرض» (لو١٨:٨).

لنستيقظ:

لنستنهض قلوبنا بكل ما وسعنا الجهد، أيها الإخوة الأعزاء، ولنخرج من نعاس غفلتنا الماضي، وليت كل واحد منا يسهر على حفظ وتتميم وصايا الرب. لنتشبّه بأولئك الذين قال لهم: «لتكن أحقائكم ممنطقة وسُرُجكم موقدة. وأنتم مثل أُناس ينتظرون سيّدهم متى يرجع من العُرس، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت» (لو١٢:٣٤-٣٥).

ينبغي أن نكون قائمين مستعدين وأحقاؤنا ممنطقة، لئلا عندما يأتي يوم انطلاقنا نوجد مربوطين ومثقّلين بما يعيقنا عن التأهُّب والاستعداد.

ليت مصابيحنا تضيء بالأعمال الصالحة، ويتألَّق نورها بوضوح، حتى يُخرجنا من ليل هذا العالم ويأتي بنا إلى نهار الأبدية الساطع، حيث مع المسيح مُبدع السلام الحقيقي ومع ملائكته ننعم هناك بالسلام وبالفرح بلا نهاية بمعونة ربنا يسوع المسيح المالك مع الآب والروح القدس إلى الأبد آمين.

ولكن رحلناها نفوساً كريمة

إذا أرخى الليل سدوله بأنواع الهموم، وطال السرى، وأبطأ الفجر، وتراكبت أطباق البلاء، طبقاً على طبق، واستيأس الواثقون، وبلغت القلوب حناجرها، وزلزلت النفس زلزالها، حتى أخرجت أثقالها، وحدثت أخبارها.. وهاجمتك جيوش الحزن فأطبقت عليك أو كادت، وإن إعتراك الفزع أو الجزع، أو إظهار الشكوى، أو الركون إلى الضعف، فلا تيأس ولا تنهار، بل أضرم نفسك بحرارة الروح القدس روح المسيح ، متأملاً قول الشاعر:

تَعَزَّ فإن الصبرَ بالحُرِّ أجملُ ... وليس على ريب الزَّمان مُعَوَّلُ (١)
فلو كان يُغْني أن يُرى المرءُ جازِعاً ... لحادثة أو كان يغني التَّذَلُّل (٢)
لكان التَّعزي عند كل مصيبة ... ونائبةً بالحُرِّ أَوْلى وأجمل (٣)
فكيف وكل ليس يعدو حمامةً ... وما لامرئ عما قضى الله مَزْحَل (٤)
فإن تكن الأيامُ فينا تَبَدَّلَتْ ... بِبُؤْسى ونُعْمى والحوادثُ تَفعل (٥)
فما ليَّنَت منَّا قناةً صليبةً ... ولا ذلَّلتْنا للتي ليس تجْمُلُ(٦)
ولكن رحلناها نفوساً كريمةً ... تُحمَّلُ ما لا يُستطاعُ فتحملُ (٧)
وقَيْنا بحسن الصبر منا نُفوسَنا ... فَصَحّتْ لنا الأعراضُ والناسُ هُزَّل (٨)

١) تعزَّ: أي تصبر وتجمل. والريب: صرف الدهر. وقوله معوَّل: أي تعويل. يقول تصبر فإن الصبر بالرجل الكريم أحسن من التخشع فيما لا يحسن الخضوع فيه، ثم سلاه بقوله وليس على ريب الزمان معول، أي أن الزمان متقلب متغير لا يبقى على حالة.

٢) يغني: ينفع. والجزع: محركا نقيض الصبر. والتذلل: الخضوع والخشوع.

٣) التعزي: التصبر. يقول لو كان في الجزع منفعة لما كان يحسن، وكان الصبر أحسن منه، فكيف وليس فيه منفعة، ويوضحه البيت الذي بعده.

٤) يعدو: يتجاوز. والمزحل: المبعد، من زحل عن مكانه إذا تباعد عنه، أي لا يتجاوز أحد ما قدره اللّه عليه، وليس له عنه مبعد.

٥) البؤسى: اسم للبؤس وشدة الحاجة. والتبدل: الاختلاف. والنعمى: ضد البؤسى. والحوادث تفعل: اعتراض أي تأتي باللين والصعوبة.

٦) العرب تضرب المثل بالقناة فيقولون: قناة بني فلان صلبة، أي هم أعزاء أشداء، وقناة بني فلان خوارة أي هم ضعاف.

٧) رحلناها: قيل معناه: رحلنا لها، فالضمير للحوادث، كقولهم: كلتك وكلت لك، أي رحلنا لها نفوسنا الكريمة، وحملنا هذه النفوس ما لا تطيق من أثقال الدهر فحملته.

٨) وقينا بحسن الصبر: معناه أننا بحسن صبرنا صحت لنا الأعراض، وأعراض الناس هزلة لقلة صبرهم على الشدائد التي نحن نصبر عليها.

لأنّ قلبَ هذا الشعب قد غَلُظ، وآذانَهُم قد ثَقُل سَمَاعُها. وغمَّضوا عُيونَهُم، لئَّلا يُبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم، ويفهموا بقلوبهم ، ويرجعوا فأشفيهم» (متى ١٣:١٥).

والشاعر يذكّرنا بمصير آدم وسقوطه نتيجة ذنبٍ واحدِ

يا ناظراً يرنو بعينَيْ راقدِ ... ومشاهداً للأمرِ غيرَ مُشاهِدِ
مَنَّيْتَ نفسَكَ ضلّةً وأبَحْتَها ... طُرُقَ الرَّجاءِ وهنَّ غيرُ قَواصِدِ
تصلُ الذّنوبَ إلى الذنوبِ وترتجي ... درْكَ الجنانِ بها وفوزَ العابِدِ
ونسيتَ أنَّ اللّهَ أخرَجَ آدماً ... منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدِ

ثمن المعجزة

قصة من الواقع

توجّهت الطفلة تيس *Tess* ذات الثامنة إلى غرفة نومها، وتناولت حصّالة نقودها من مخبئها السريّ في خزانتها، ثم أفرغتها مما فيها على الأرض، وأخذت تعد بعناية ما جمعته من نقود خلال الأسابيع الفائتة، ثم أعادت عدّها ثانية فثالثة، ثم همست في سرّها: «إنها بالتأكيد كافية، ولا مجال لأي خطأ» ؛ وبكل عناية أرجعت النقود إلى الحصالة ثم لبست رداءها، وتسللت من الباب الخلفي، متجهة إلى الصيدلية التي لا تبعد كثيرا عن دارها.

كان الصيدلي مشغولاً للغاية، فانتظرته صابرة، ولكنه استمر منشغلا عنها، فحاولت لفت نظره دون جدوى، فما كان منها بعد أن يئست إلا أن أخرجت قطعة نقود معدنية بقيمة ربع دولار من الحصالة، فألقتها فوق زجاج الطاولة التي يقف وراءها الصيدلي ؛ عندئذ فقط انتبه إليها، فسألها بصوت عبّر فيه عن استيائه : ماذا تريدين أيتها الطفلة ؟ إنني أتكلم مع شقيقي القادم من شيكاغو، والذي لم اره منذ زمن طويل ..

فأجابته بحدّة مظهرة بدورها إنزعاجها من سلوكه: شقيقي الصغير مريض جدّا وبحاجة لدواء اسمه/معجزة/، وأريد أن أشتري له هذا الدواء.

أجابها الصيدلي بشيء من الدهشة: عفواً، ماذا قلت ؟

فاستأنفت كلامها قائلة بكل جديّة: شقيقي الصغير **أندرو**، يشكو من مشكلة في غاية السوء ، يقول والدي أن هناك **وَرَماً في رأسه** ، لا تنقذه منه سوى معجزة ، هل فهمتني ؟؟؟ فكم هو ثمن /معجزة/ ؟ أرجوك أفدني حالاً !

أجابها الصيدلي مغيّراً لهجته إلى أسلوب أكثر نعومة : «أنا آسف، فأنا لا أبيع /معجزة/ في صيدليتي !»

أجابته الطفلة ملحّة: « إسمعني جيداً، فأنا معي ما يكفي من النقود لشراء الدواء، فقط قل لي كم هو الثمن !».

كان شقيق الصيدلي يصغي للحديث، فتقدم من الطفلة سائلا: «ما هو نوع/معجزة/ التي يحتاجها شقيقك أندرو ؟»

أجابته الفتاة بعينين مغرورقتين: لا أدري ، ولكن كل ما أعرفه أن شقيقي حقيقة مريضٌ جداً ، قالت أمي أنه بحاجة إلى عملية جراحية، ولكن أبي أجابها، أنه لا يملك نقودا تغطي هذه العملية، لذا قرّرت أن أستخدم نقودي !.

سألها شقيق الصيدلي مبدياً اهتمامه: كم لديك من النقود يا صغيرة ؟

فأجابته مزهوة : دولار واحد وأحد عشرة سنتا، ويمكنني أن أجمع المزيد إذا احتجت !..

أجابها مبتسماً : يا لها من مصادفة، دولار وأحد عشر سنتا، هي بالضبط المبلغ المطلوب ثمناً لـ (معجزة) من أجل شقيقك الصغير.

ثم تناول منها المبلغ بيد وباليد الأخرى أمسك بيدها الصغيرة، طالبا منها أن تقوده إلى دراها ليقابل والديها، وقال لها: أريد رؤية شقيقك أيضاً.

لقد كان ذلك الرجل هو **الدكتور كارلتُن أرمسترنغ**، جراح الأعصاب المعروف. وقد قام الدكتور كارلتن بإجراء العملية للطفل أندرو مجاناً، وكانت عملية ناجحة تعافى بعدها أندرو تماماً ..

بعد بضعة أيام، جلس الوالدان يتحدثان عن تسلسل الأحداث منذ التعرف على الدكتور كارلتون وحتى نجاح العملية وعودة أندرو إلى حالته الطبيعية، كانا يتحدثان وقد غمرتهما السعادة، وقالت الوالدة في سياق الحديث: «حقا إنها معجزة» ! ثم تساءلت : « ترى كم كلفت هذه العملية ؟» رسمت الطفلة على شفتيها ابتسامة عريضة، فهي تعلم وحدها أن /معجزة/ كلفت بالضبط دولار واحد وأحد عشر سنتا... عندما يكون حب الأخرين .. صادقاً .. ونابعاً من القلب .. عندها ستكون المعجزة .. ولن تكلف الكثير.

+ **عزيزي**، إنَّ ثمن أي معجزة هو أن تفعل كل ما في استطاعتك، وتترك للّه تدبير الأمور.

+ «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات» (مت١٨:٣).

+ «دعوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات» (مت١٩:١٤).

+ «الحقَّ أقول لكم: إنَّ مَن قال لهذا الجبل، انتقل وانطرح في البحر، ولا يشكُّ في قلبه، بل يؤمن أنَّ ما يقوله يكون، فمهما قال يكون له» (مر١١:٢٣).

+ «وأنا أقول لكم: اسألوا تُعطَوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يُفتح لكم. لأن كل مَن يسأل يأخذ، ومَن يطلب يجد، ومَن يقرع يُفتَح له» (لو١١:٩-١٠).

+ «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إنَّ كلَّ ما طلبتم من الآب باسمي يُعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً» (يو١٦:٢٣-٢٤).

الطفلة تيس إبنة الثامنة، والدكتور كارلتون والطفل أندرو ووالديه

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٦٩)

الفصل السابع

إنقسام المملكة إلى مملكتين (٩٣١ ق.م.)

مملكة إسرائيل (المملكة الشمالية)

من تولي رحبعام إلى سقوط السامرة ٩٣١-٧٢٢ ق.م. (١مل ١٢-٢٢، ٢مل ١-١٧)

يمكن أن نقسّم تاريخ مملكة إسرائيل نظرياً إلى أربع فترات هي:
الفترة الأولى: إستمرت ٥٠ سنة وشملت ثلاث أسرات وضمّت ٥ ملوك هم: يربعام، وناداب، وبعشا، وأيلة، وزمري.

يربعام:

في الخمسين سنة التالية لموت سليمان إستمرّت الحروب ودام عدم الإستقرار السياسي وتسبّب ذلك في إضعاف المملكة الشمالية وإن كان يربعام قد تعين من اللّه مؤسساً لأسرة ملكية وتميز بشخصية سياسية وقيادية، وكان من الممكن أن يكون للمملكة مصيرٌ مجيد، وخاصة أنها كانت أكثر قوة من جاراتها في الجنوب، لكنه بإتباعه للأهواء العالمية أطاح بمستقبل مملكة إسرائيل لأنه أخطأ وجعل إسرائيل يخطىء. فبعد أن إختار شكيم عاصمة المملكة وإذ كان يخشى من تأثير العبادة في المملكة الجنوبية بأورشليم العاصمة المنافسة فاختار دان في أقصى الشمال وبيت إيل في أقصى الجنوب من مملكته وأنشأ فيها عبادة العجل وهي عبادة المصريين، وسبق أن سقط فيها الإسرائيليون في سيناء وربما تأثر بها يربعام وهو في المنفى إذ كان إلى زمن قريب في مصر، ويحكم يربعام المملكة في الفترة ٩٣١–٩١٠ ق.م..

ناداب:

خَلَفَ ناداب أباه يربعام على العرش، ولم يستمر حكمه سوى سنتين ٩١٠–٩٠٩ ق.م. .، إذ إغتاله بعشا (١مل١٥:٢٥–٣٢).

بعشا:

بدأ أسرة ملكية جديدة وحكم إسرائيل على مدى ٢٤ سنة ٩٠٩–٨٨٦ ق.م. . وعند موت بعشا خرّب السوريون الجليل الأعلى ووقع معظم أرض سبط بنيامين على الحدود الجنوبية لإسرائيل في يد يهوذا.

أيلة:

حكم أيلة بن بعشا سنتان ٨٨٦–٨٨٥ ق.م. . قبل أن يغتاله في ترصة ضابط سلاح المركبات زمري، والذي أباد أسرة بعشا كما أباد بعشا بيت يربعام قبل ذلك بأربعة وعشرين سنة (١مل ١٦ :١٥–٢٠).

زمري:

يؤسس زمري ٨٨٥ ق.م. . أسرة جديدة لا تستمر طويلاً لأن عمري يستولي على ترصة، فينسحب زمري إلى القلعة ويموت منتحراً بعد حصار القلعة.

وفي الفترة من يربعام إلى زمري في حُكم هؤلاء الملوك كان العداء شديداً بين المملكتين وكانت الحروب مستمرة.

الفترة الثانية: إستمرت ٥٠ سنة، وشملت أسرة واحدة ضمّت أربعة ملوك هم: عمري وأخاب وأخازيا ويهورام.

عمري والعاصمة الجديدة (٨٨٥–٨٧٤ ق.م.) :

أسس عمري أسرة مالكة وحكم ١٢ سنة وبالرغم أن عمري لم يُذكر عنه إلا قليل، لكنه كان أحد الملوك الأقوياء في إسرائيل من الناحية السياسية، وظلّ ملوك إسرائيل عشرات السنين يسمون أنفسهم أبناء عمري. فما كاد عمري يستولي على المُلك حتى أخذ يُحيي سياسة سليمان بتوطيد السلام في مملكته ونشر التجارة مع جيران إسرائيل، وبهذه السياسة إنتعشت المملكة وتحقّق لها الرخاء والإستقرار، إلا أنه جلب المعارضة السياسية، وعقد عمري تحالفاً مع الفينيقيين ثبّته بزواج ولي العهد آخاب مع **إيزابيل** إبنة ملك صور ، وكدليل على التحول الجديد نقل عاصمته ٩ أميال (١٥ كم) غرب ترصة في مكان منعزل فوق تَلٍّ إشتراه من رجل يدعى شمر (سمر) ومنها أتى إسم السامرة، وقد أظهرت حديثاً أعمال التنقيب آثار القصر الملكي والحصن الذي بناه عمري في السامرة، واستمرت السامرة عاصمة للمملكة حتى سقوطها، وسُمِيَّ الإقليم بإسمها، كذلك تَسَمَّى الشعب أيضاً بالسامريين.

آخاب وإيزابيل (٨٧٤–٨٥٣ ق.م.):

كانت أحط الدرجات التي وصَل إليها الشعب، هي التي كانت في حُكم آخاب (١مل١٦:٢٩،٢مل٢) والذي استمر ٢٥ سنة، فبزواج آخاب من **إيزابيل** الشابة الجميلة الفينيقية وصار إسمها أبغض إسم (رؤ٢:٢٠) وقد أدخلت إيزابيل بصفة رسمية عبادة البعل في إسرائيل وانتشرت الوثنية بين الشعب بما تحمله في طقوسها من الزنى والفجور وماتتسم به ممارستها الوحشية ، وبدأت إيزابيل إضطهاداً مريراً ضد عبادة إله إسرائيل وأقامت ٤٠٠ **كاهناً** للبعل هؤلاء الذين إصطحبتهم معها من صور وهم الذين تربّت على أيديهم، فكانوا يأكلون على مائدتها، وأعطتهم صفة رسمية ومركزاً سامياً في المملكة، ومنحتهم سلطاناً واسعاً لنشر عبادتها في إسرائيل، وأضلّت الشعب إذ صار يتأرجح بين الفرقتين، وبدأت إضطهاداً دموياً، وهدمت مذابح إسرائيل وروّعت قلوب الشعب بإنتقامها من الذين رفضوا عبادتها، فهرب أنبياء إسرائيل إلى الجبال وسكنوا الكهوف، وكان آخاب شهوانياً ترضيه مائدة ملوكية من الطعام والشراب، وأن يسكن في قصر فخم وأن يجد للخيول والبغال طعاماً وتتساوى عنده عبادة اللّه مع عبادة البعل، واستطاعت **إيزابيل** تلك المرأة الماكرة أن تجعله يسير في أهوائها ويصير آلة في يدها، ووسط هذه الضيقة التي كان يعيش فيها المخلصون الأوفياء لعبادة اللّه أرسل اللّه أعظم الأنبياء، ألا وهو إيليا النبي. ■

القديسة مريم والمجمع المسكوني الثالث

والدة الإله الدائمة البتولية مريم

أعلن المجمع المسكونيّ الثالث الذي انعقد في مدينة أفسس **عام ٤٣١** أنّ مريم والدة يسوع المسيح هي حقّاً «والدة الإله». واعتبر الآباء القدّيسون الملتئمون في المجمع أنّ هذا التعبير «والدة الإله» يتضمّن محتوى عقائديّاً على مستوى اللاهوت والإيمان المسيحيّ القويم. ولا تكتمل أرثوذكسيّة المؤمن وصحّة إيمانه من دون الاعتراف بأنّ مريم قد ولدت الإله نفسه الكائن منذ الأزل لدى اللّه الآب. مريم لم تلد بشراً كسائر البشر، فأتى اللّه وسكن فيه. بل ولدت الإله، فأعطته الجسد بعد أن سكن في أحشائها ما تقتضيه الطبيعة من وقت. لذلك، عقيدة «والدة الإله» ليست عقيدة مريميّة تختصّ بمكانة مريم في الإيمان الأرثوذكسيّ. إنّما هي، بالأحرى، عقيدة مسيحانيّة متعلّقة بشخص يسوع المسيح وتدبيره الخلاصيّ من أجل البشر.

ويجدر التنويه هنا إلى أنّ الكنيسة، وفي هذا السياق تحديداً، لم ترفع إلى مستوى العقيدة سوى ما يختص باللّه، الآب والابن والروح القدس. في الواقع، درج الآباء قبل مجمع أفسس بوقت طويل على إطلاق اسم «والدة الإله» على مريم. ولائحة المراجع طويلة، نكتفي بالإشارة إلى بعضها الأهمّ.

فمن أولى الشهادات ما ورد في إحدى رسائل القدّيس ألكسندروس بطريرك الإسكندريّة (٣٢٠) حيث جاء: «فقد لبس المسيح في الحقيقة، لا في المظهر، جسداً اتّخذه من مريم والدة الإله».

أمّا القدّيس أثناسيوس (٣٧٣)، خليفة ألكسندروس، وبطل الإيمان القويم والمدافع عن العقيدة المسيحيّة في وجه الهرطقة الآريوسيّة، فيقول عن السيّدة مريم: «إنّ الكلمة هو نفسه قد وُلد بالجسد من مريم والدة الإله».

والقدّيس غريغوريوس النزينزيّ (٣٨٩+) يقول أيضاً: «إنْ كان أحد لا يؤمن أنّ القدّيسة مريم هي والدة الإله، فهو غريب عن اللّه».

لقد سقنا هذه الأقوال كي نقول إنّ إعلان عقيدة ما في الكنيسة لا ينشأ من العدم. بل إنّ إعلان العقيدة يأتي ردّاً على تعاليم منحرفة، وعلى هرطقات تشاء ضلال المؤمنين. فالعقيدة ليست سوى التأكيد على ما تناقلته الكنيسة من إيمان سليم استلمته من الأجداد والآباء وبدورها ستسلمه إلى الأبناء. وهذا تماماً ما حصل مع **نسطوريوس، بطريرك القسطنطينيّة** (٤٢٨)، إذ رفض الإقرار بأنّ مريم «والدة الإله» بعد أن اعترفت الكنيسة بذلك، وأدخلت هذا الاسم في نصوص عباداتها وكُتُبِها. فكان أن اجتمعت الكنيسة في المجمع المسكونيّ الثالث وذكّرت بإيمانها المستودع منذ أيّام الرسل.

رفض نسطوريوس الاعتراف بإمكانيّة أن تلد مريمُ الإنسانةُ المخلوقةُ إلهاً هو خالقها، بالإضافة إلى أنّه ميّز في شخص يسوع المسيح بين كائنَين، إلهيّ وإنسانيّ، قائلاً إنّ مريم وَلدت الإنسان يسوع الذي حمل الإله، وحاشا أن تلد الإله. ففيما يختصّ بمريم العذراء، إذاً ، يقول نسطوريوس إنّها «**والدة المسيح الإنسان**»، وليست والدة الكلمة الإله. لذلك، ينبغي أن ندعوها «**والدة المسيح**»، لا «والدة الإله». وهذا ما رفضته الكنيسة بقوّة، إذ قالت بعدم جواز الفصل في يسوع المسيح بين شخصين، إلهيّ وإنسانيّ. فيسوع كائن واحد إلهيّ اتّخذ الطبيعة الإنسانيّة كاملة، ولم ينفصل البتّة عن الألوهة، وإنْ للحظة واحدة.

واجه القدّيس كيرلس الإسكندري (٤٤٤+) بدعة نسطوريوس بحزم شديد، فاعتبر أنّ رفض القول بأنّ مريم «والدة الإله» ينتج منه رفض وحدة الشخص في يسوع المسيح. وكيرلّس لم يتوانَ عن التأكيد على أنّ يسوع الإنسان هو نفسه كلمة الإله. لذلك يمكن القول إنّ «ابن الله وُلد من مريم» بحسب طبيعته البشريّة، وإنّ «ابن مريم قد خلق الكون» بحسب طبيعته الإلهيّة. وانطلاقاً من هذا المبدإ يصح القول حقّاً «إنّ مريم والدة الإله»، لأنّ الشخص الذي وُلد منها هو نفسه ابن الله الكائن منذ الأزل مع اللّه والذي صار إنساناً لأجل خلاص البشر.

انعقد المجمع المسكونيّ الثالث وأدان تعاليم **نسطوريوس** وآراءه اللاهوتيّة غير الموافقة لإيمان الكنيسة، وتبنّى تعاليم **كيرلّس**. ومن أبرز ما جاء في تحديدات المجمع اللاهوتية: «بما أنّ العذراء القدّيسة قد وَلدت بالجسد الإله الذي صار واحداً مع الجسد بحسب الطبيعة، فإنّنا ندعوها والدة الإله». وكما قلنا، فالتحديد المجمعيّ يتوسّع أكثر في شأن شخص يسوع المسيح والتأكيد على أنّه شخص واحد، فيقول الآباء المجمعيّون: «إنّما نعترف بمسيح واحد هو الكلمة المولود من الآب، وهو الذي اتّخذ جسداً (...) ليس إنّ إنساناً اعتياديّاً وُلد من مريم العذراء ثمّ حلّ عليه الكلمة (...) ولكنّه مع اتّخاذه لذاته جسداً بقي كما كان إلهاً».

في عام ٤٣٣ وضع لاهوتيّو الكنيسة الأنطاكيّة نصّاً دعي «**قانون الوحدة**»، لأنّه أعاد الوحدة الكنسيّة بعد الاضطرابات التي سبّبها التعليم النسطوري الخاطئ.فأعاد «قانون الوحدة» التأكيد على مقرّرات المجمع المسكونيّ الثالث، ومن أبرز ما جاء في هذا القانون: «لا نعترف إلاّ بمسيح واحد وابن واحد وربّ واحد. وبسبب هذا الاتّحاد (بين الطبيعتين الإلهيّة والإنسانيّة) المنزّه عن الاختلاط،نعترف بأنّ العذراء القدّيسة هي والدة الإله، لأنّ الإله الكلمة صار فيها جسداً، أي صار إنساناً».

يجد اسم «والدة الإله» جذوره في الكتاب المقدّس، ولا سيّما في قول أليصابات وهي حامل بيوحنّا المعمدان، حين زارتها مريم نسيبتها وهي حامل بيسوع: «من أين لي هذا أن تأتي أمّ ربّي إليّ» (لوقا١:٤٣).فيسوع المسيح هو «الربّ»، واسم «الربّ» من أسماء اللّه . فإذا كان المسيح هو الربّ، فأمّ الربّ هي «والدة الإله».

فبشفاعاتها، يا مَن وُلد منها، ارحمنا وخلّصنا . آمين